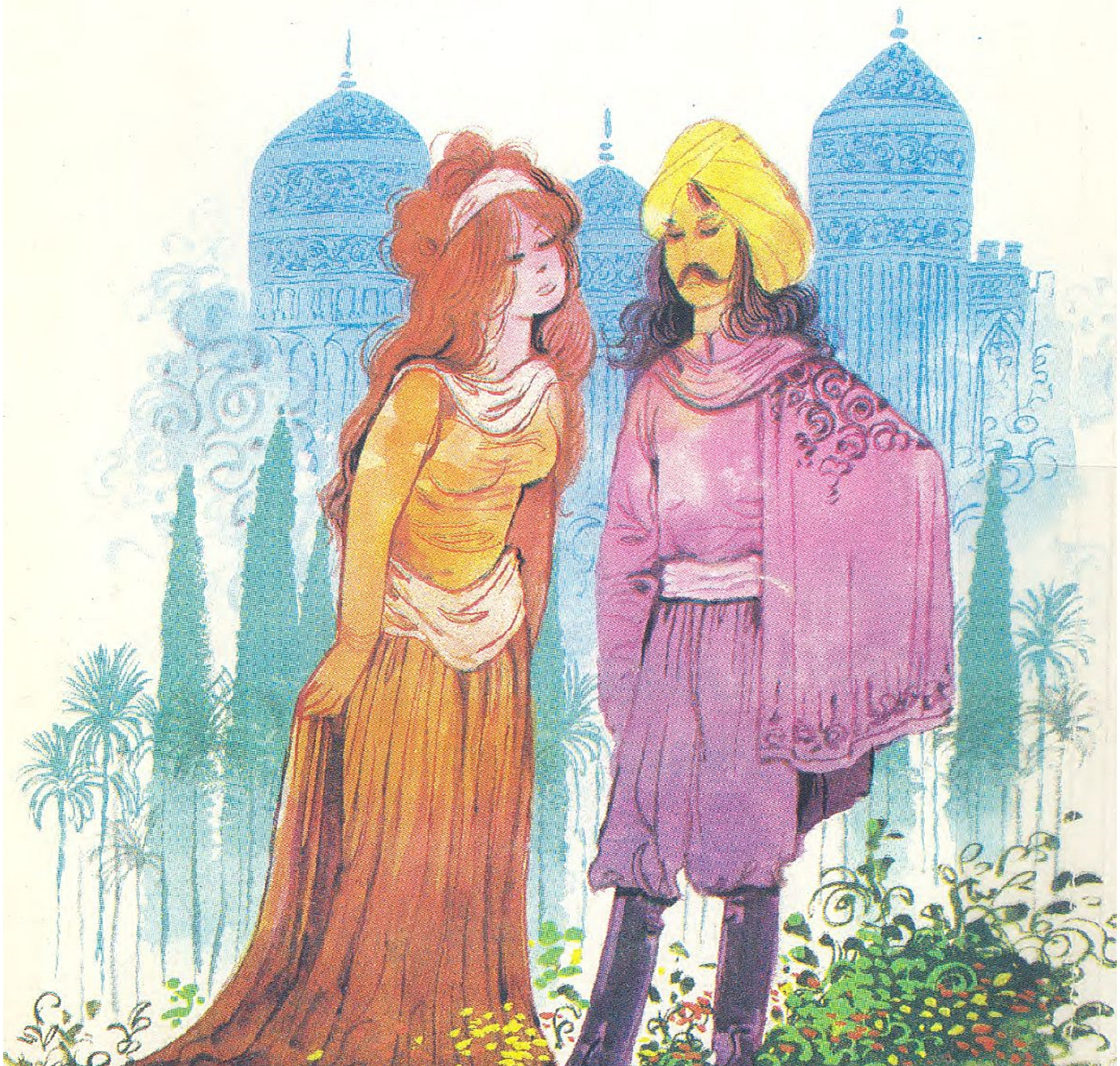
مختـــارات

كاريكاتير

أعظم قصة فكاهية ظهرت على وجه الأرض

على سالم يترجم ڤولتير

صادق



الغلاف والرسوم الداخلية
للفنان: مصطفى حسين

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية



صادق

تأليف: ڤولتير

ترجمة: على سالم

تصدرها
المجموعة العربية
للنشر والإعلان .
المركز الرئيسى قبرص ـ
نيقوسيا ـ ص . ب ٢٣١٣
الفرع في مصر والمراسلات
١٦ شارع عبد الحميد لطفى ـ
المهندسين ـ القاهرة .
تليفون : ٣٦١٥٨٧٧ ـ
٣٦١٥٨٦٦ ـ ٣٦٠٨١٤٠
فاكس : ٣٦١٤٤٦٨
تلكس : ELAMR.U.N ٢٣١٣

الطبعة الاولى
يناير ١٩٩٢

كلمة الناشر

عندما فكرت مجموعتنا ، المجموعة العربية للنشر والإعلان التى أتشرف برئاستها فى إصدار مجلة تخصص بأكملها للضحك ، لم نكن نتوقع كل ذلك التشجيع والتأييد الذى قابلنا به القراء فى المنطقة العربية كلها . كما لم نتصور أن العمل فى ميدان الفكاهة المنشورة يتطلب كل ذلك القدر من العناء . فأنت تضحك أو على الأقل تبتسم عندما تقرأ مقالاً ساخراً أو تشاهد رسماً كاريكاتيرياً لرسام كبير ، ولكنك عندما تشاهدهم وهم يعملون تفقد ضحكتك على الفور . فالبحث عن الضحكة التى يقدمونها لك يشعرهم بقدر كبير من التوتر ويحولهم إلى مواد قابلة للإشتعال . وهذا ما يفسر أننا مجلة الضحك الوحيدة فى المنطقة العربية وأن أحداً لم يقدم من قبل على هذه المغامرة .

ولكن النجاح يؤدى إلى التفكير فى المزيد من النجاح ولذلك فكرنا فى أن تكون لنا سلسلة خاصة نقدم فيها النماذج الرفيعة من الأعمال الفكاهية لأكبر كتاب الشرق والغرب. واخترنا « صادق » فولتير ليكون أول كتاب فى هذه السلسلة من مختارات كاريكاتير . بعد ذلك سننتقل إلى الخطوة التالية ، وهى التقدم من الفكاهة المكتوبة والمرسومة إلى الفكاهة المعروضة على المسرح ، والمذاعة عبر التليفزيون .

فنحن نعي دورنا في المنطقة العربية . وندرك أن الضحك الراقي احتياج حقيقي لسكانها لايقل أهمية عن الاحتياج إلى البروتين . وهو أمر ضروري من أجل حياة يومية أقل جفافاً وأكثر حيوية وبهجة لأنه من الصعب التصور أن بشراً استولى عليهم الاكتئاب يستطيعون تنمية مجتمعاتهم ولذلك نحن نتحرك على محورين ، الأول هو الاستعانة بكل أساتذة فن الضحك المرسوم والمكتوب من الجيل الحالي في المنطقة العربية والمحور الثاني هو العمل على اكتشاف كتاب ورسامين جدد ينضجون معنا وننضج معهم على مهل

إن مجموعتنا ، أخذت على عاتقها أشق مهمة في المنطقة . أن نجعلك تضحك أو على الأقل تبتسم لكي تصبح حياتك أكثر ثراء وصحة نفسية ونحن نعدك أننا سنبذل كل ما في وسعنا للقيام بهذه المهمة .

محمد يحيى زيدان

مقـــدمـــة

بقلم: عـــلى ســالـم

لو أنني رفعت من على غلاف هذه القصة اسم مؤلفها «فولتير» وكتبت اسماً عربياً قديماً لصدقت على الفور أن كاتبها ينتمي للمنطقة العربية. فهي حكاية شرقية بالفعل كما أسماها هو وهي ليست حكاية شرقية يكتبها كاتب أجنبي. فقد استطاع بثقافته العريضة وهضمه لآداب المنطقة وتراثها أن يكتب رواية تشعر وأنت تقرؤها أن مؤلفها هو نفسه مؤلف ألف ليلة وليلة بفرض أن لها مؤلفاً واحداً.

قرأت هذه الرواية باللغة الانجليزية في عام ١٩٨٩ عندما كنت في جامعة ميتشجان أعد بحثاً عن «الضحك وعلاقته بالضمير عند المصريين». شعرت بالخجل وبالألم لأنني لم أقرأها من قبل. فهي رواية ممتعة غاية الإمتاع ودرس بليغ في كيفية صياغة أعقد الأفكار الفلسفية في أسلوب سهل وشيق. بدأت أفكر بعد قراءتها في أن «ڤولتير» ككاتب ساخر وانساني لم يقدم بعد إلى قراء العربية على نطاق واسع وهو ما يستحق وما نستحقه نحن، وعزمت على أن أقوم بترجمتها بمجرد عودتي إلى القاهرة.

بعد عودتي اكتشفت أن الدكتور طه حسين سبق له أن ترجمها

منذ حوالى أربعين عاماً . بالطبع أسعدنى كثيراً أن اكتشف أن ما أفكر فيه سبق لذلك المفكر العظيم أن نفذه بالفعل . بعد أن قرأت الترجمة شعرت بالاحباط . هذا العمل يجب أن ينزل إلى الشارع ، إلى ما نسميه القارىء العادى ، وعظمة وجلال اللغة عند طه حسين تحولان دون ذلك .هذا عمل فكاهى يخفى كل عظمته باقتدار خلف بساطة لغته ووضوح أسلوبه وبنائه السهل الممتنع كما أن إخلاص الدكتور طه حسين الصارم لدقة الترجمة جعله يحتفظ بأسماء الأبطال طبقاً للنطق الفرنسى بينما العمل نفسه شرقى الجسم والملامح ، يحدث فى الشرق الأوسط القديم وشخصياته كلها تحمل أسماء عربية وبابلية قديمة . من البديهى أن «فولتير» نفسه كان يريد لبطله ''Zadig'' أن يعود لأصله فى اللغة العربية وهو «صادق» وليس «زاديج» كما أن صديق البطل ''Cador'' يجب أن يكون «قادر» فلقد كان قادراً بالفعل على إنقاذ البطل من مشاكل عديدة . يوافقنى على هذا الرأى ''Haskell M. Block'' الذى قدم للترجمة الانجليزية حيث يقول بوضوح أن ''Zadig'' تعنى فى اللغة العربية ، الرجل الذى يقول الصدق .

وليكن واضحاً للجميع أننى أدرك أن قامتى فى اللغة العربية - حتى بعد أن أتسلح بكل الغرور والثقة بالنفس - لا ترتفع إلى ركبتى الدكتور طه حسين خاصة وأننى أترجم عن لغة وسيطة هى الانجليزية بينما ترجم هو عن الأصل الفرنسى ولكن تبقى حقيقة هامة ، الفكاهة صنعتى .

ولكن لماذا المغامرة بترجمة عمل سبق أن ترجمه عملاق كبير ؟ مع ما فى ذلك من فتح لباب المقارنات التى لن تكون فى صالحى بالتأكيد !

الإجابة هى : أننى أخوض وزملائى الآن معركة سبق أن خاضها «فولتير» فى فرنسا منذ أكثر من مائتين وخمسين عاماً هى نفسها عمر الفرق الحضارى بيننا ، وهذه الرواية كانت واحدة من أهم أسلحته فى تلك المعركة ضد التخلف والغباء والعنف . وأنا أريد لشباب هذا الجيل أن يقرأها

لقد انتزعت هذه الرواية - كما سأفعل بأعمال أخرى - من حلقات المثقفين الخاصة وقبضتهم الخانقة على الثقافة الرفيعة لكى

أنزل بها إلى الشارع كما فعلت أجيال سابقة عظيمة . فأحمد شوقي عندما كتب أشعاره وغناها محمد عبد الوهاب كانت تأخذ طريقها إلى رواد المقاهي في المدن ، والجالسين على الجسر في أصغر قرية ، وسكان الخيام والنجوع . كما أن ألحان السنباطي ومحمد القصبجي وأشعار حافظ إبراهيم ورامي وبيرم التونسي كانت كلها تركب سفينة أم كلثوم لتبحر في محيط البشر المتلاطم في المدن والقرى والحوارى والأزقة .

لأن الفن العظيم شعبي بطبيعته ، والعمل الفني العاجز عن الوصول لقلوب الناس في الشوارع والبيوت ، عمل فاشل ومن لديه شك في ذلك عليه أن يتذكر ألحان سيد درويش ولمن وكيف ومتى كانت تقدم ؟

أمر أخير ، لقد وصلت صناعة الفكاهة في مصر إلى مستنقع محزن بعد أن خلت في معظمها من الذكاء والرقة ومهارة الصنعة والحكمة واكتسبت أبعاداً من البلاهة والغلظة والغباء وقلة الحياء . ولذلك كان لابد من إعادة تذكير البشر بالنماذج الراقية للأدب الساخر ، وأنا أعتقد أن صادق فولتير من أفضل الأعمال التي تحقق ذلك .

علي سالم

القاهرة نوفمبر ١٩٩١

شهادة

أقر أنا الموقع أدناه ، بعد أن نجحت فى أن أجعل نفسى متعلماً بل وظريفاً ، بأننى قد قرأت هذا المخطوط ووجدته - بالرغم منى - عجيباً ومسلياً ، أخلاقياً وفلسفياً وخليق بأن يمتع حتى هؤلاء الذين يكرهون الحكايات . لذلك فقد قمت بالنيل منه وأكدت للقاضى أنه عمل بغيض .

من رسالة الإهداء التى كتبها السعدى إلى السلطانة شيراه . الثامن عشر من شهر شوال عام ٨٣٧ هجرية .

يابهجة الأعين ، وياعذاب القلب ، وياضياء الروح . لن أقبل التراب تحت قدميك لأنك نادراً ماتمشين على الأرض . أو لعلك تسيرين على السجاجيد الفارسية والزهور . أهدى إليك ترجمة هذا الكتاب الذى كتبه حكيم قديم كان يعانى من حالة سعادة استولت عليه لأنه لم يكن يفعل شيئاً ، عندئذ طرأت عليه فكرة أن يسلى نفسه بكتابة قصة «صادق» وهو عمل يقول أكثر مما يتظاهر بأنه يقوله ، أتوسل إليك أن تقرأيه وأن تحكمى عليه بنفسك فالبرغم من أنك فى ربيع العمر ، ومحاطة بالمتع واللذائذ من كل نوع ، وبالرغم من أنك جميلة بالإضافة لصفاتك الحميدة ، وبالرغم من أن المديح يحيط بك من الصباح حتى المساء ، ومن ثم يكون لك كل الحق فى أن تكونى فارغة العقل ، إلا أنك تملكين عقلا راجحا وذوقا رفيعا ، لقد استمعت إليك وأنت تجادلين أفضل من أى درويش بذقن طويلة وزعبوط مدبب .

أنت حريصة ولكنك لست سيئة الظن ، رقيقة بغير ضعف . وأنت تراعين الفروق بين الأشياء تحبين صديقاتك ولاتصنعين الأعداء . وخفة دمك لاتكتسب سحرها من الأغتياب أو النميمة كما أنك لاتقولين ولاتفعلين ماهو سيء بالرغم من الإمكانيات الهائلة التى تتيح لك ذلك إذا رغبت فيه .

واخيراً فإن روحك تبدو لى صافية مثل جمالك . بل أنت أيضاً تتمتعين بقدر من الفلسفة الأمر الذى يجعلنى أعتقد أنك ستعجبين أكثر من أى شخص آخر بعمل هذا الحكيم القديم . لقد كتب الأصل فى اللغة الكلدانية القديمة ، التى لا تعرفينها أنت ولا أعرفها أنا . ثم ترجمت إلى العربية لتسلية السلطان الشهير « أولغ بغ » تقريباً فى الوقت الذى كان فيه العرب والفرس يبدأون تاليف الف ليلة وليلة .. ألف يوم ويوم .. إلخ . لقد فضل « أولغ بغ » أن يقرأ « صادق » ولكن النساء فى حريمه كن يفضلن أكثر قراءة الأعمال الأخرى .

وكان « أولغ » الحكيم يقول لهن « كيف تفضلن قراءة أعمال فارغة لا معنى لها ؟

وكن يجبنه ، هذا هو بالظبط ما يجعلنا مغرمين بها . إننى واثق من أنك لن تكونى مثلهن . بل ستكونين مثل أولغ الحكيم . واسمحى لى أن آمل أنك بعد أن تسمعى الحوار العام الذى يماثل ألف ليلة وليلة فيما عدا أنه أقل إمتاعاً . إسمحى لى أن أحصل على شرف مقابلتك لعدة دقائق نتناول فيها أموراً جادة .

لو كنت « سالتريس » فى زمن الاسكندر بن فيليب المقدونى ، لو أنك كنت بلقيس فى زمن الملك سليمان إذن لشد هؤلاء الملوك الرحال إليك .

إننى أصلى من أجل أن تحيط بك المسرات ، وأن يصاحبك الجمال والسعادة إلى الأبد .



الرحل
ذوالعين
الواحدة

في زمن الملك «موبدار» كان يعيش في بابل رجل في مقتبل العمر، إسمه صادق. ولد هذا الرجل بفطرته مهذباً، وقد زاد التعليم من قدر هذا التهذيب. فالبرغم من أنه كان صغيراً وغنياً، إلا انه تعلم كيف يكبح أهواءه. كان مبرءاً من كل النزوات بغير ادعاء إنه معصوم من الخطأ، كما كان يحترم الضعف البشرى وكان الناس يدهشون لذلك. لم يستخدم أبداً قدراته الذهنية في الاشتراك في الأحاديث الغامضة وغير المترابطة أو في الحركات الخشنة أو الأحكام الجاهلة التي كان الناس يعتبرونها في بابل نقاشاً.

لقد تعلم من كتاب «زراديشت» الأول أن الغرور هو بالونة مملوءة بالهواء، يخرج منها الهواء عندما تثقب. وفوق كل شيء، لم يكن صادق يتباهى باحتقاره للمرأة، أو يزهو بغزواته لعالمها ولأنه كان كريماً، لذلك كان يفيض بكرمه على الجاحدين متبعاً قاعدة «لزراديشت» تقول: عندما تأكل، أعط بعضاً مما تاكله للكلاب، حتى لو كانت ستعضك.

كان حكيماً كأحكم ما يكون البشر، لذلك سعى لأن يحيا مع الحكماء. تعلم علوم الكلدانين القدماء كما لم يكن جاهلاً بمبادىء علم الطبيعة، أيضاً كان يعلم الكثير من علوم ما وراء الطبيعة في حدود المعرفة التي كان يتبناها العصر في ذلك الوقت. بمعنى أنه كان يعلم القليل.

كان صادق كثير المال، وبالتالي كثير الأصدقاء. صحيح الجسد، جميل الهيئة، ذا عقل راجح وقلب نبيل مخلص لذلك أعتقد أنه لابد أن يكون سعيداً.

كان علي وشك أن يتزوج من سميرة، وهي حسناء لا يضاهيها أحد في جمالها وثروتها في بابل، كان يشعر نحوها بحب عذرى قوى وكانت هي تحبه بعاطفة مشتعلة كانا قريبين من اللحظة التي ستجمعهما معاً عندما كانا يتمشيان في إتجاه واحدة من ا لبوابات في بابل. وتحت أشجار النخيل التي تزين ضفاف الفرات، شاهدا مجموعة من الرجال المسلحين بالسيوف والنبال يتقدمون ناحيتهما. كانوا من أتباع «أوركان» الشاب ابن أخي



احد وزراء الدولة. هؤلاء الأتباع كانوا يزينون له فكرة أن من حقه أن يفعل ما يشاء. لم يكن «أوركان» يتحلى بشيء من فضائل صادق وشجاعته، ومع ذلك كان يؤمن بأنه يستحق أكثر مما لديه. كان تعساً لأنه لم يكن افضل من صادق، هذه الغيرة التى نبعت فقط من غروره دفعته للاعتقاد بأنه يحب سميرة بجنون لذلك قرر أن يحصل عليها هو بينما كان ا لرجال المهاجمون يقبضون عليها بعنف، جرحوها، فأسالوا بذلك دماء حسناء تذوب أمام جمالها حتى نمور جبال «إماوس» عند ذلك شقت صرخاتها سماء بابل، صاحت قائلة يازوجى العزيز.. إنهم ينتزعوننى بعيداً عن الرجل الذى أحبه.

لم تأبه للخطر الذى يحيط بها. كانت تفكر فقط فى الرجل الذى تحبه، بينما كان هو يدافع عنها بكل القوة والشجاعة اللتين يغذيهما الحب. وبمساعدة عبدين فقط تمكن من هزيمة المهاجمين وحملهم على الفرار. عند ذلك حمل سميرة إلى بيتها مغشياً عليها تغطيها الدماء وعندما فتحت عينيها وشاهدت منقذها قالت: آه ياصادق، لقد أحببتك من قبل بوصفك زوج المستقبل.. أما الآن فأنا أحبك بوصفك الرجل الذى أدين له بحياتي وعرضي.

لم يحدث من قبل أن قلباً أحب بعمق مثل قلب سميرة، ولم يحدث من قبل أن شفاها عبرت بكلمات يغذيها الشعور المشتعل بالعرفان والوفاء والحب مثل شفتي سميرة. كانت إصابتها خفيفة ولذلك شفيت بسرعة. ولكن إصابة صادق كانت أكثر خطورة فقد أصابه سهم بالقرب من عينه فخلف جرحاً عميقاً. صلت سميرة طويلاً من أجل أن يشفي حبيبها، إستحمت عيناها بالدموع ليل نهار. إشتاقت لتلك اللحظة التي تستطيع فيها عينا صادق أن تستمتعا برؤية جمالها مرة أخرى ولكن ورماً كبيراً أحاط بعينه جعلها تخشى حدوث ما هو أسوأ.

ذهب رسول مسرعاً إلى «ممفيس» ليستدعى «هرمز» الطبيب المشهور الذى جاء ومعه عدد كبير من المساعدين زار الرجل المريض وصرح بأنه سيفقد عينه. بل أنه تنبأ باليوم والساعة

اللتين سيحدث فيهما ذلك الحدث المؤلم . وقال : لو كانت الإصابة في العين اليمنى ، إذن لكان من الممكن أن أعالجها ولكن الجروح في العين اليسرى غير قابلة للشفاء .

كل الناس في بابل يندبون حظ صادق التعس ، ويبدون إعجابهم بعلم هرمز العزيز ومعرفته الفائقة . بعد يومين ، خف الورم من تلقاء نفسه وزال الإلتهاب وشفي صادق تماماً ، عند ذلك كتب هرمز كتاباً اثبت فيه انه لم يكن ينبغي له أن يشفى ، غير أن صادق لم يقرأ الكتاب .

بمجرد أن أصبح صادق قادراً على الخروج ، استعد لزيارة تلك التي تعتبر أمله الوحيد في السعادة في الحياة والذى من أجلها وحدها كان يريد أن يكون له عينان . ولكن سميرة كانت قد سافرت إلى الريف منذ ثلاثة أيام .

وفى طريقه إليها ، علم بأن هذه الحسناء الجميلة صرحت علناً بأنها تمقت مقتاً لامزيد عليه ذوى العين الواحدة ، وأنها قد تزوجت من أوركان الشباب فى الليلة الفائتة .

عندما وصلته تلك الأخبار أغمي عليه ، وكاد حزنه أن يسلمه للموت ، ظل مريضاً لفترة طويلة غير أن عقله فى النهاية تغلب على مصيبته ، ونفس الاحساس الفظيع الذى كان يعانيه ساعده على تعزية نفسه ، فقال : بما إني تعرضت لتلك النزوة القاسية من فتاة تربت في البلاط ، لذلك يجب أن أتزوج من واحدة من البشر العاديين .

فاختار «عازورا» التى تنتمى لأسرة كبيرة ، وتعتبر أكثر الفتيات أدباً وتهذيباً في المدينة تزوجها وعاش معها لمدة شهر في هناءة . العيب الوحيد الذى لاحظه فيها لم يكن له أهمية تذكر ، كان لديها ميل قوى للاعتقاد بأن الرجال أصحاب الوسامة ، يتصفون أكثر من غيرهم بالذكاء والفضيلة .

الأنف

ذات يوم عادت «عازورا» إلى البيت تتصايح بشدة وهي في حالة من السخط لا حد لها فقال لها صادق. ماذا بك يازوجتي العزيزة؟.. ترى من استطاع أن يفقدك أعصابك إلى هذه الدرجة؟

فأجابت: للأسف كان من الممكن أن تكون أشد سخطاً مني لو أنك رأيت ما رأيته، لقد ذهبت لمواساة الأرملة «كسرو» التي اقامت منذ يومين فقط مقبرة لزوجها الشاب بجوار مجرى الماء في نهاية الحقل، ونذرت أن تعيش إلى جوار المقبرة ما دام هذا المجرى المائي يسير بجوارها.

فقال صادق حسناً.. امرأة جديرة بالتقدير حقاً، هي بالفعل تحب زوجها.

فعادت «عازورا» تقول. آه لو عرفت ماذا كانت تفعل عندما ذهبت لزيارتها.

- ماذا كانت تفعل يازوجتي العزيزة؟
- كانت تحول مجرى المياه بعيداً عن المقبرة.

بعد ذلك إنطلقت «عازورا» تتحدث عن الأرملة بألفاظ عنيفة وكلمات جارحة لدرجة شعر معها صادق بالاستياء لمبالغتها في الافصاح عن مشاعرها.

كان لصادق صديق اسمه قادر وهو شاب صغير من النوع الذى ترى زوجته أنه جدير بالاعتبار أكثر من الآخرين .. إكتسب صادق ثقته وبهدية معتبرة ضمن إخلاصه إلى اقصى حد ممكن . بعد أن أمضت « عازورا » يومين فى الريف عند واحدة من صديقاتها ، عادت فى اليوم الثالث فأخبرها الخدم أن زوجها مات فجأة فى الليلة السابقة وأنهم لم يجرؤوا على إخبارها بذلك ، وأنهم دفنوه فى مقبرة أجداده الموجودة فى آخر الحديقة .

بكت « عازورا » ومزقت شعرها ، كان الواضح من حالتها أنها هى الأخرى على وشك أن تموت فى المساء طلب منها قادر أن تسمح له بالحديث معها ، وبكيا معاً لمدة طويلة . وفى اليوم التالى بكيا لمدة اقل وتناولا طعام الغذاء معاً . أخبرها قادر أن صديقه المرحوم ترك له الجزء الأكبر من أملاكه ثم عبر لها عن عميق سعادته إذا هى سمحت أنْ تشاركه هذه الأملاك . ذرفت السيدة المزيد من الدموع وهى تشعر بالصدمة ، ثم سمحت لنفسها أن تهدأ استمر العشاء وقتاً أطول مما أستغرقه الغذاء ، وبدآ يتحدثان معاً فى ود أكثر . كانت « عازورا » تمدح زوجها المرحوم ولكنها إعترفت أنه كانت له عيوب ليست موجودة فى قادر .

فى منتصف العشاء شكا قادر من ألم عنيف إنتابه فجأة فى الجزء الذى يوجد به الطحال . إستولى القلق على السيدة وفى نشاط واهتمام قامت إلى التسريحة وأحضرت كل ما عليها من زجاجات العطور لعل من بينها ما يخفف من ألم الطحال . كانت تشعر بالأسف لأن الطبيب هرمز الشهير كان قد غادر بابل ، بل أنها تعطفت وتحسست الجزء الذى يشعر فيه قادر بالألم ثم سألته بنبرة ملؤها العاطفة : هل أنت معرض دائماً لذلك الألم القاسى ؟ فأجاب إنه ألم يكاد يضعنى أحياناً على حافة القبر ، وهناك علاج واحد فقط هو الذى يريحنى أن أتحسس مكان الألم بأنف رجل مات منذ يوم واحد أو يومين على الأكثر .

فقالت عازورا : ياله من علاج غريب .
فرد قادر . ليس أكثر غرابة من أنواع عديدة من العلاج .

فكرت عازورا قليلاً وقالت لنفسها : على أية حال ، عندما يمر زوجي من عالم الأمس إلى عالم الغد ، من المستحيل أن يمنعوه من المرور لمجرد ان انفه ينقص قليلاً عما كان عليه في الحياة . عند ذلك أخذت « الموسى » وذهبت إلى مقبرة زوجها ، وبعد أن بللته بدموعها إقتربت لكي تقطع انف صادق الذى كان جسده ممددا على الأرض . قفز صادق ممسكاً انفه بيد ، مبعداً الموسى باليد الأخرى وقال لها : سيدتي ، لا تسخطي بشدة على الأرملة الشابة « كسرو » فتحويلها للمجرى المائى ليس بأسوأ من عزمك على قطع أنفي .







الكلب والحصان

إكتشف صادق بالتجربة أن الشهر الأول في الزواج - كما هو مذكور في كتاب الزند - هو شهر العسل . وأن الشهر الثاني هو شهر العلقم . واضطر بعد مرور بعض الوقت لأن يهجر « عازورا » بعد أن أصبحت الحياة معها مستحيلة . ثم بحث عن السعادة في الطبيعة ، قال لا توجد سعادة تماثل سعادة الفيلسوف الذي يقرأ في ذلك الكتاب العظيم - الطبيعة - الذي بسطه الله أمام أعيننا .

الحقائق التي كان يكتشفها كانت ملكه هو وحده ، أهتم بتغذية روحه وإنمائها . كان يحيا في سلام ، لم يكن يخشى أي إنسان ، لم يكن يخشى أن يأتي شخص رقيق من أهل بيته ليقطع له أنفه ممتلئاً بهذه الأفكار ، إنعزل صادق في منزل ريفي على ضفاف الفرات وهناك لم يضيع وقته في حساب كم بوصة من الماء تمر

فى الثانية تحت الجسر ، ولا كم سنتيمترا مربعاً من المطر ينزل فى شهر الفأر أكثر مما ينزل فى شهر الجدى . لم يجر أبحاثاً ليحول خيوط العنكبوت إلى حرير .

أو ليحول الزجاجات المكسورة إلى صينى ، ولكنه درس خصائص الحيوان والنبات . وسرعان ما اكتسب قدراً من المعرفة جعلته يدرك آلاف الفروق بين الأشياء حيث لا يرى الآخرون إلا التماثل .

ذات يوم ، بينما كان يتمشى بجوار غابة صغيرة رأى واحداً من أغوات الملكة يجرى فى إتجاهه ومن خلفه بعض الضباط يجرون هنا وهناك فى حالة ذهول كما لو كانوا يبحثون عن شىء ثمين فقدوه . سأله رئيس الأغوات : أيها الشاب هل رأيت كلب الملكة فأجاب صادق بتواضع : هى كلبة وليست كلبا .

فقال الأغا : نعم .. أنت محق .

أضاف صادق : هى كلبة صغيرة جداً ، ولم يمض عليها وقت طويل منذ أن ولدت بعض الجراء ، وهى عرجاء ، عرج خفيف فى الساق الأمامية اليسرى . وأذناها طويلتان جداً .

فقال الأغا بصبر نافذ : أنت رأيتها إذن .

فقال صادق : لا . لم أرها فى حياتى ، ولا أعرف أن الملكة لديها كلبة .

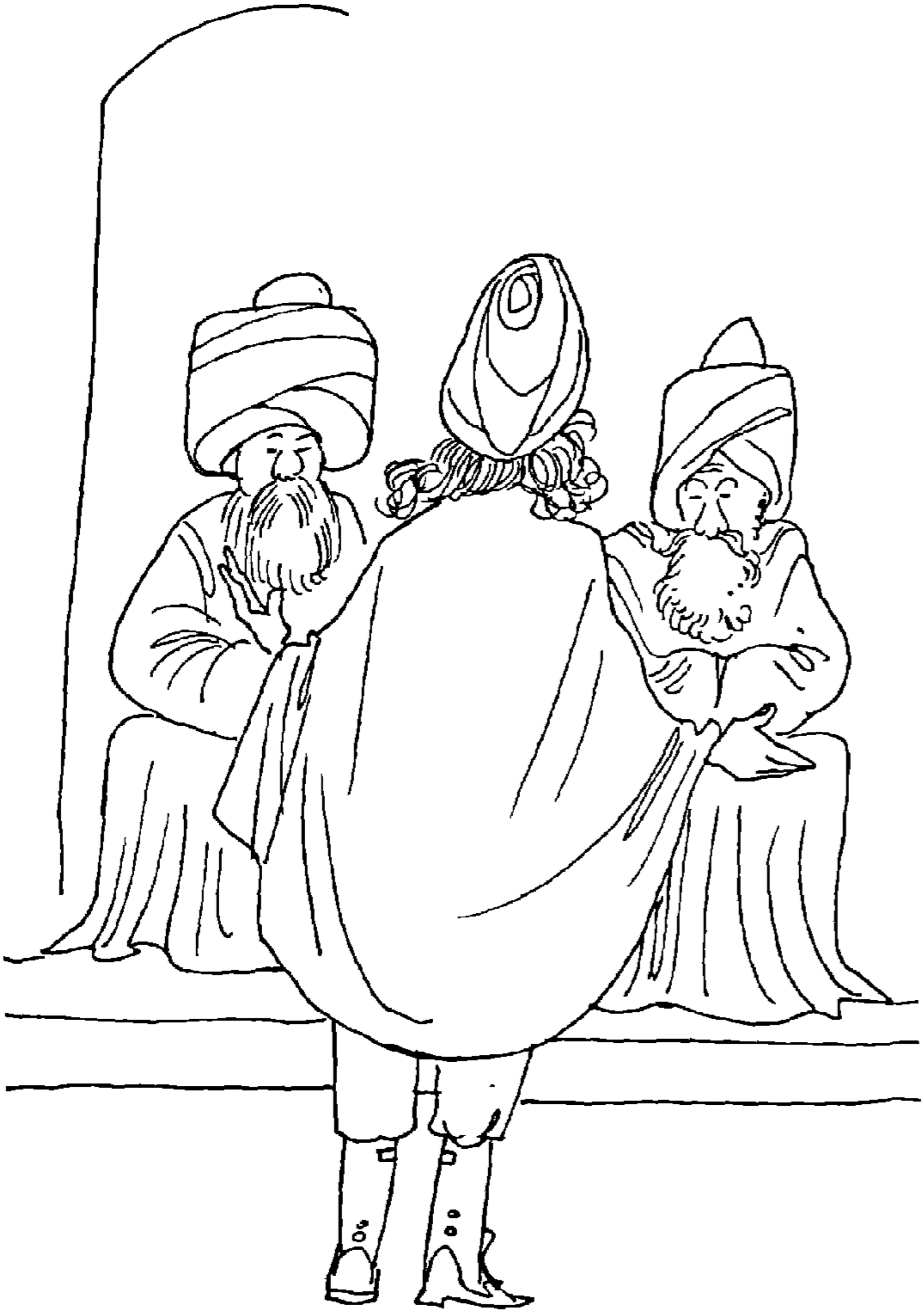
فى نفس هذا الوقت وبالصدفة البحتة افلت حصان من يد سائسه وجرى فى سهول بابل ، كان أهم حصان فى إسطبلات الملك . إنطلق خلفه مسئول الصيد الكبير ومعه عدد كبير من الضباط ، وقد استولت عليهم نفس حالة القلق والذهول التى إستولت على الأغوات الذين كانوا يبحثون عن كلب الملكة .

إعترض مسئول الصيد صادق وسأله إن كان قد شاهد حصاناً يمر من هذا الطريق ؟ فأجاب صادق : إنه ذلك الحصان الذى يعدو بشكل جميل ، إرتفاعه خمسة أقدام ، وله حوافر دقيقة . طول ذيله ثلاثة أقدام ونصف ، والقطع الحديدية الموضوعة فى فمه والمتصلة باللجام من الذهب عيار ثلاثة وعشرون قيراطاً وحدواته من الفضة عيار أحد عشر قيراطاً .

فسأله الضابط: أين هو ؟ في أى طريق سار ؟
فأجاب صادق: لم أره، ولم أسمع أحداً يتكلم عنه.
لم يكن لدى مسئول الصيد وكبير الأغوات أى شك فى أن صادق قد سرق الحصان والكلبة. فتم القبض عليه وقدم للمحاكمة أمام المحكمة العليا التى حكمت بجلده وبأن يقضى بقية حياته منفياً في سيبريا.
بمجرد أن صدر النطق بالحكم، تم العثور على الحصان والكلبة فشعر القضاة بالحرج الناشىء عن ضرورة تصحيح الحكم، ومع ذلك فقد حكموا عليه بدفع غرامة مقدارها أربعمائة أوقية من الذهب لأنه أنكر أنه قد شاهدهما، أجبر صادق على دفع الغرامة قبل أن يسمح له بالتظلم أمام محكمة القضاء العالى جداً. وهذه هي مرافعته عن نفسه:

يانجوم العدالة، وبحور المعرفة التى لا قرار لها، يامرايا الحقيقة. يامن لكم ثقل الرصاص وقوة الحديد. يامن لكم لمعان الجواهر وياأقرباء الذهب. بما أنه من المسموح لى أن أتحدث أمام هذه المحكمة الموقرة، فإننى أقسم لكم أننى لم أشاهد فى حياتى كلبة الملكة الفاضلة أو حصان ملك الملوك المفدى واسمعوا ما حدث.

كنت أتمشى فى إتجاه الغابة الصغيرة حيث قابلت فيما بعد حضرة الأغا الموقر وسعادة مسئول الصيد الكبير، قبل أن أراهما بقليل، لاحظت أن هناك على الأرض آثار حيوان، كان من السهل أن أعرف أنها لكلب صغير.
كانت هناك أيضاً خطوط خفيفة محفورة تبدو واضحة فى الأماكن التى ترتفع فيها الرمال بين آثار الأقدام فأدركت أن هذه آثار أثداء متدلية، وبالتالى فلابد أن هذه آثار كلبة ولابد أنها قد ولدت حديثاً. هناك علامات أخرى كانت على الرمال، خطان على يمينى ويسار الساقين الأماميين، دلتنى على أن لها أذنين طويلتين، لاحظت أيضاً أن أثر الضغط على الرمال من الساق الأمامية اليسرى أخف من آثار الأقدام الأخرى، فاستنتجت من



ذلك - ولا مؤاخذة - أن كلبة مولاتى كانت تعانى من عرج خفيف فى ساقها اليسرى .

أما فيما يتعلق بحصان مولانا ملك الملوك ، فلابد أن تعرفوا أننى كنت أسير فى نفس الغابة قبل ذلك بقليل فلاحظت آثار أقدام حصان على مسافات متساوية ، عندها قلت لنفسى . هذا حصان يعدو عدوا جميلاً منضبطاً بلا أدنى عيب التراب على الأشجار حيث عرض الطريق لايتجاوز سبعة أقدام كان مسموحاً هنا وهناك على الجانبين على بعد ثلاثة أقدام ونصف من منتصف الطريق . فقلت «هذا الحصان له ذيل طوله ثلاثة أقدام ونصف ، لأنه عندما كان يحركه يميناً ويساراً ، كان يزيل التراب من على أوراق الأشجار . لاحظت أيضاً حيث كانت الأشجار تمثل تعريشة فوق الطريق بارتفاع خمسة أقدام ، أن أوراقا قد سقطت لتوها من على أغصانها . عند ذلك استنتجت أن الحصان قد لمسها وبالتالى فلابد أن يكون إرتفاعه هو خمسة أقدام .

أما فيما يختص بالجزء الحديدى من اللجام وأنه لابد أن يكون من الذهب عيار ثلاثة وعشرون قيراطاً ، فقد عرفت ذلك من أحد الصخور التى حك رأسه فيها وأخيراً إستنتجت من آثار أقدامه على بعض الصخور الأخرى أن حدواته من الفضة .

تعجب القضاة من عمق إدراكه وبراعته ورفعوا تقريرا بذلك إلى الملك والملكة وفى البلاط ومجلس الوزراء لم يكن أحد يتحدث سوى عن صادق ومع ذلك كان من رأى بعض الكهنة أن يحرق بوصفه ساحراً .. أمر الملك أن ترد إلى صادق الغرامة التى سبق له أن دفعها فذهب إليه أعضاء النيابة وكتاب العدل والمحضرون والحجاب فى موكب مهيب ليعيدوا إليه الأربعمائة أوقية من الذهب بعد أن خصموا منها الدمغات ورسوم القضية وهى ثلاثمائة وثمانية وتسعون أوقية . كما طالبه السعاة والفراشون بالبقشيش .

أدرك صادق أنه من الخطر أن يكون الانسان حكيماً أكثر من اللازم ، وعزم على ألا يقول شيئاً فى أى مناسبة أخرى مشابهة .

وسرعان ما حدثت هذه المناسبة . هرب أحد المسجونين ومر تحت نوافذ بيته ، وعندما سئل صادق لم يقل شيئاً . ولكن ثبت فيما بعد أن صادق كان يطل من نافذته . فحكم عليه بدفع غرامة مقدارها خمسمائة أوقية من الذهب دفعها بعد أن شكر قضاته على رأفتهم كما هي العادة في بابل .

قال صادق لنفسه : كم هو أمر مؤسف أن يتمشى الانسان في الغابة ، في المكان الذى مر فيه حصان الملك وكلب الملكة . وكم هو خطر أن يطل الانسان من النافذة ، وكم هو صعب أن يكون الانسان سعيداً في هذه الحياة .





الرجل الحقود

بعد الشرور التى جلبها حظه السىء بحث صادق عن العزاء فى الفلسفة والصداقة . وفى واحدة من ضواحى بابل أتخذ منزلاً فرشه بذوق رفيع حيث جمع فيه كل الأشياء والمباهج التى تناسب شخصاً أميناً . فى الصباح كانت مكتبته مفتوحة لكل المثقفين وفى المساء كانت مائدته تحيط بها الصحبة الطيبة ولكنه سرعان ما اكتشف كم هم خطر هؤلاء المثقفون ، إذ اشتعل النقاش فجأة حول أحد قوانين «زراديشت» الذى يحرم أكل (الجريفن) . تساءل أحدهم . كيف يمكن تحريم أكل الجريفن بينما هذا المخلوق لاوجود له ؟

رد عليه البعض : لابد أنه موجود مادام زراديشت قد حرم أكله .

حاول صادق أن يوفق بين الطرفين فقال: إذا كان الجريفز موجوداً فعلينا أن نمتنع عن أكله، وإذا لم يكن له وجود فلا يوجد أدنى خطر علينا، لأننا لن نجده لنأكله وبذلك نكون في الحالتين قد أطعنا زراديشت.

أحد العلماء الذى ألف كتابه من ثلاثة عشر جزءاً عن خواص الجريفن والذى كان أيضاً مشتغلاً بعلوم السحر. سارع بإرسال عريضة اتهام ضد صادق لينظر فيها «ييبور» أحد كبار الكهنة، وأغبى الكلدانيين قاطبة وبالتالي أكثرهم تعصباً. هذا الرجل كان على استعداد لأن يجلس صادق على الخازوق من أجل بهاء الشمس ثم يعود مغتبطاً بذلك لينشد كتاب زراديشت. ولكن صديقه قادر (صديق واحد افضل من مائة كاهن) ذهب للبحث عن «ييبور» وخاطبه قائلاً: تحيا الشمس ويحيا الجريفن. احترس أن تلحق أذى بصادق، أنه قديس، وهو يحتفظ بالجريفن في حديقة منزله الخلفية ويمتنع عن أكلها. والرجل الذى اتهمه هرطيق لأنه جرؤ على القول بأن الأرانب لها ظلف مشقوق مثل الأبالسة وأنها لا تخلو من نجاسة.

فقال «ييبور» وهو يهز رأسه الصلعاء: في هذه الحالة لابد أن يعاقب صادق لأنه أجرم في حق الجريفن وأن يعاقب الآخر لأنه أجرم في حق الأرانب.

أنهى «قادر» المسألة مستعيناً بسيدة فاضلة كانت قد أنجبت طفلاً من هذا الكاهن وتتمتع بوضع خاص في دوائر الكهنة. لم يعاقب أحد، ومع ذلك فإن مجموعة كبيرة من العلماء - تعليقاً على تلك الواقعة - تنبأت بخراب بابل.

صاح صادق: كيف الطريق إلى السعادة؟ كل واحد في هذه الحياة يضطهدني، حتى المخلوقات التي لا وجود لها.

لعن صادق كل المثقفين وعزم على أن يعاشر فقط الأوساط الراقية. دعا إلى منزله أكثر الرجال أمانة وأكثر النساء سحراً في بابل. كان يقدم لهم العشاء الفاخر الذى تسبقه الموسيقى، وكان الحديث الممتع بين الجميع يزيد من حيوية تلك الجلسات، من ذلك تعلم صادق كيف يبعد ذلك الإحساس بالتوتر الذى يستولى

علي الجميع بعد نوبات المرح . ذلك المرح الذى يعتبر طريقة مؤكدة للخسارة وإفساد الصحبة الجميلة .

لم يكن اختياره لأصدقائه او للأطباق التى يقدمها يتم بدافع من الرغبة في التظاهر . لأنه في كل شيء كان يفضل أن يكون حقيقياً عن أن يكون مظهرياً . لذلك اكتسب احترام الجميع دون أن يسعى لذلك .

في مواجهة منزل صادق كان يسكن « عاريميز » وهو شخص كانت روحه الخربة مطبوعة علي سحنته الكريهة . كان ممتلئاً بالتكبر يأكله الشر . ولتتويج ذلك كله كان يتعامل على أنه خفيف الدم بينما هو فقط مثير للضجر . ولأنه لم ينجح في أى شيء في الحياة لذلك قرر ان ينتقم منها بالتذمر والشكوى الدائمة . وبالرغم من ثرائه ، كان يعاني من أزمة في الحصول على منافقين يزورونه في منزله .

صوت العربات وهى داخله من بوابة منزل صادق كانت تشعره بالضيق وأصوات كلمات المديح التي تكال لصادق كانت تشعره بالهياج . احياناً كان يذهب للولائم التى يقيمها صادق ويجلس إلى مائدته بدون دعوة فيفسد متعة الجميع وكأنه بكتريا فاسدة تفسد كل طعام تلمسه .

حدث ذات يوم أن دعا سيدة حسناء راقت له ، ولكنها بدلاً من أن تلبى دعوته ذهبت لحفل عشاء عند صادق . وفي يوم آخر ، بينما كان يتحدث مع صادق في القصر ، مر أحد الوزراء فوجه دعوة للعشاء لصادق دون أن يوجهها لعاريميز .

هذا الرجل الذى عرف في بابل باسم « الرجل الحقود » كان يرغب في تدمير صادق لأنه كان معروفاً بين الناس باسم « الرجل السعيد » . إن فرصة العمل من اجل إيذاء الآخرين تتوفر مائة مرة في اليوم بينما فرصة فعل الخير لا تحدث سوى مرة واحدة في العام . هذا ما لاحظه زراديشت .

ذهب الرجل الحقود لمنزل صادق فوجده يتمشى في حديقته مع صديقين وسيدة كان صادق يقول لها الكثير من عبارات المجاملة التي لا يقصد من ورائها شيئاً ثم تطرق الحديث إلى الحرب التي



السجن من أجل جريمة لم ترتكب أصلاً . لم يسمح له بالكلام فالورقة المنتزعة من نوتته تكلمت عنه بما فيه الكفاية هذا هو القانون في بابل . بعد ذلك ارغم على الذهاب لتنفيذ حكم الأعدام بين الحشود التى جاءت تتطلع إليه فى فضول . لم يجرؤ أحد على أن يشفق عليه ، ولكنهم تتدافعوا يحدقون فى وجهه ليروا هل سيموت في كبرياء . اقاربه فقط كانوا منزعجين . لأنهم لن يرثوه فقد تمت مصادرة ثلاثة أرباع أملاكه لحساب الملك وحصل الرجل الحقود على الربع المتبقى .

وبينما كانوا يعدونه للموت هرب ببغاء الملك من مكانه وحط فى حديقة صادق فى حقل الزهور .. كانت هناك حبة خوخ حملتها الرياح من شجرة قريبة فسقطت بين الزهور على قطعة ورق والتصقت بها . فالتقط الطائر الخوخة والورقة ووضعها على ركبتي الملك . قرأ الملك الذى ثار فضوله عدة كلمات لا معنى لها مكتوبة على قطعة الورق ، والتى تبدو انها نهايات لأبيات شعرية . كأن يحب الشعر والأمراء الذين يحبون الشعر لا يخيب لهم مسعى . ما فعله الببغاء دفعه للتفكير وتذكرت الملكة ما كان مكتوباً فى الورقة التى اتهم بموجبها صادق فأمرت بإحضارها . وضعت القطعتين كل منها بجوار الأخرى فتطابقتا تماماً . عند ذلك كان من السهل قراءتها على النحو التالى :

بكل الجرائم الفظيعة رأيت الحياة مرعوبة .
وبجلوسه على العرش حاصر الملك الشرور
فى أزمنة السلام الحب وحده هو الأقوى .
عدو واحد فقط هو صاحب القلب الخائف .

أمر الملك على الفور بأن يحضروا إليه صادق وأن يطلق سراح صديقيه والسيدة الجميلة . إنحنى صادق أمامه وسأله أن يغفر له رداءة أشعاره . ثم تكلم بكل العقل والحكمة والظرف لدرجة أن الملك والملكة أبديا رغبتهما فى أن يرياه مرة أخرى فجاء مرة أخرى وسعدا بالمزيد من حديثه الممتع .

كل الأملاك الخاصة بالرجل الحقود الذى اتهمه ظلماً وعدواناً

كان الملك قد أنهاها مؤخراً محققاً نصراً كبيراً على تابعه أمير «هاركانيا» كان صادق قد أبدى شجاعة فائقة في تلك الحرب القصيرة، ولديه الكثير ليقوله في مديح الملك والأكثر ليقوله في مديح السيدة. فأخرج نوتته الصغيرة. وخط أربعة سطور ألفها من وحي اللحظة ثم ناولها لصاحبته الحسناء لقراءتها. طلب منه صديقاه أن يلقيا عليها نظرة. ولكن تواضعه أو بالأحرى احترامه لذاته جعلاه يرفض. كان يعرف أن الشعر الفورى ليس له قيمة سوى في نظر تلك التي كتب من أجلها. لذلك مزق الورقة نصفين وألقى بها بعيداً في حوض تملؤه زهور كثيفة. حاول صديقاه العثور عليها دون جدوى ثم دخلوا إلى المنزل عندما هطلت الأمطار. ولكن الرجل الحقود الذى ظل في الحديقة أخذ يبحث عنها بصبر واهتمام حتى وجد جزءاً من الصفحة الممزقة تصادف أن نصف السطور المكتوب فيها ظل مفهوماً ويكون جملاً صحيحة. كانت السطور أقصر من الأصل بالطبع ولكن من الغريب أنها كانت تشكل أبشع ما يمكن كتابته ضد الملك. كانت تقرأ هكذا :

بكل الجرائم الفظيعة
وبجلوسه على العرش
في أزمنة السلام
عدو واحد فقط

شعر الرجل الحقود بالسعادة لأول مرة في حياته. لأنه يملك الآن في يده الوسيلة التي سيدمر بها رجلاً فاضلاً ومحبوباً. فأرسل في غمار إحساسه بتلك الفرحة القاسية ذلك السباب إلى الملك الذى أمر بإلقاء صادق في السجن هو وصديقاه والسيدة. انتهت محاكمته بسرعة. لم يتنازل القضاة ليسمعوا ما لديه من دفاع وعندما احضروه ليتلى عليه الحكم اعترض الرجل الحقود طريقه وقال له بصوت مرتفع أن أشعاره لا تساوى شيئاً. لم يزعم صادق من قبل أنه شاعر. غير أنه كان يشعر بالضياع لكونه متهماً بالخيانة العظمى، ولرؤيته للسيدة الجميلة وصديقيه في

اعطيت لصادق ولكنه ردها جميعاً إليه . وشعر الرجل الحقود بالتأثر فقط لأن أملاكه ردت إليه .

ازداد تقدير الملك لصادق يوماً بعد يوم . جعله يشاركه فى كل مسراته ، وكان يستشيره فى كل شئون الحياة ، ومنذ ذلك الوقت حبته الملكة بعطفها . ذلك العطف الذى من الممكن أن يشكل خطراً عليها وخطراً على حاشيتها وخطراً على صادق وخطراً على الدولة كلها .

واخذ صادق يفكر فى أنه ليس من الصعب أن يكون الانسان سعيداً .





الرجل الكريم

حان الوقت للاحتفال بعيد كبير يأتى كل خمسة أعوام إذ جرت العادة في بابل أن يتم الاعلان علناً وبشكل احتفالى فى هذا العيد عن اسم المواطن الذى قام بأكثر الأعمال كرماً . كانت مجموعة المحكمين تتكون من الأعيان والكهنة ، وكان نائب الملك المسئول عن المدينة يقوم بالإعلان عن اكثر الأعمال نبلاً التى تمت فى عهد حكومته ، ثم تتم عملية الاختيار بالتصويت ثم يصدر الملك حكمه . كان الناس يأتون لهذا الاحتفال من اقصى أرجاء المعمورة ، حيث يتسلم المرشح الفائز كأساً ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة بينما الملك يخاطبه قائلا : أهديك كاس الكرم وأطلب من الله سبحانه وتعالى أن ينعم علىَّ بالكثيرين من أمثالك .

جاء اليوم التاريخى وظهر الملك جالساً على العرش محاطاً بالأعيان والكهنة ومندوبين من كل الدول جاءوا لذلك الاحتفال الذى يُكسب فيه المجد ، ليس بالقوة البدنية ولكن بقوة الفضيلة .

أخذ نائب الملك يعدد بصوت مرتفع الأعمال التى تؤهل أصحابها للحصول على تلك الجائزة التى لا تقدر بثمن. لم يذكر عظمة ما قام به «صادق» عندما رد أموال الرجل الحقود إليه. فقد أعتبر ذلك العمل أقل شأناً من أن يذكر فى هذا المجال.

فى البداية، قدم قاضياً أصدر حكماً خاطئاً على مواطن وترتب على هذا الحكم أن خسر المواطن كل أملاكه. لم يكن القاضى مسئولاً عن ذلك بحال من الأحوال ومع ذلك فقد قام القاضى بإعطاء المواطن كل أملاكه هو وكانت تساوى بالضبط ما فقده المواطن.

ثم قدم شاباً كان يحب فتاة بجنون وكانا على وشك الزواج ولكنه تنازل عن حبه لها وزوجها من صديقه الذى كان يحبها حباً جعله يشرف على الموت، ثم تولى دفع المهر عنه.

ثم قدم جندياً أعطى فى معركة «هاركانيا» مثالاً نبيلاً للكرم. إذ امسكت بعض قوات الأعداء بحبيبته فقاتل دفاعاً عنها، ولكن بمجرد أن علم أن مجموعة أخرى على بعد عدة خطوات قد أسرت والدته، توقف عن القتال دفاعاً عن حبيبته بينما هو يبكى ثم أسرع لإنقاذ أمه، وعندما عاد إلى حبيبته وجدها تحتضر فعزم على أن يقتل نفسه ولكن أمه نبهته إلى أنه لا يوجد أحد تعتمد عليه فى الحياة سواه، وأنه شجاع إلى الدرجة التى ينبغى معها أن يبقى على قيد الحياة.

كانت مجموعة المحكمين تميل لإعطاء الجائزة للجندى. ولكن الملك تدخل قائلاً: ما فعله هذا الشاب وما فعله الآخران، أمر جدير بالتقدير ومع ذلك فهو لا يدهشنى. ولكن «صادق» فعل بالأمس شيئاً آثار دهشتى. منذ عدة أيام آثار وزيرى «سوريب» المفضل لدى استيائى فغضبت عليه غضباً شديداً، وشكوت منه مر الشكوى. كل رجال البلاط أكدوا لى أننى كنت متساهلاً معه إلى أبعد الحدود. كل منهم تسابق مع زملائه على قدر استطاعته فى إتهام «سوريب» بكل ما هو ردىء.. وعندما سألت «صادق» عن رأيه فى «سوريب»، جرؤ على أن يتكلم عنه كلاماً طيبا. أعترف أننى قد سمعت الكثير عن حوادث فى التاريخ قام فيها البشر

بالتكفير عن اخطائهم بالتنازل عما يملكون ، كما قاموا بالتخلى عمن يحبونهم من أجل هدف اسمى ، كما فضلوا الأم عن الحبيبة ، ولكنى لم أسمع من قبل عن رجل من رجال البلاط قال كلمة طيبة عن وزير مغضوب عليه ، وخاصة عندما يكون الشخص الغاضب منه هو مليكه .. إننى امنح عشرين الف قطعة ذهبية لهؤلاء الذين استمعنا لأعمالهم الكريمة ولكننى أعطى الكأس «لصادق» .

فقال صادق : مولاى .. انت وحدك الذى يستحق هذا الكاس ، لأنك اتيت عملاً من أعمال العظمة لم يسبقك إليه أحد . فانت - وأنت الملك - لم تغضب من خادمك عندما تجرأ وأعلن رأياً ليس على هواك .

أعجب الجميع بالملك و«بصادق» وتسلم القاضى الذى تخلى عن ثروته والمحب الذى زوج حبيبته لصديقه والجندى الذى فضل سلامة أمه على سلامة حبيبة القلب ، تسلموا جميعاً هدايا الملك وشاهدوا أسماءهم مكتوبة فى سجل الكرماء . حصل «صادق» على الكأس ، وحصل الملك على السمعة الطيبة كحاكم عظيم - تلك السمعة - التى لم يستطع المحافظة عليها طويلاً .

استمرت الاحتفالات وقتاً أطول مما يحدده القانون ، ومازالت آسيا تحتفظ بذكريات ذلك اليوم .

وقال صادق : وأخيراً ، ها انا سعيد .

ولكنه كان مخدوعاً .



الـــــوزيــــر

فقد الملك وزيره الأول فتم ترشيح صادق ليحل محله . كل الحسناوات في بابل استحسن هذا الاختيار ، فلم يحدث من قبل منذ انشاء الامبراطورية أن عين وزير شاب صدم كل رجال البلاط ، وتقيا الرجل الحقود دماً وتورمت انفه فاصبحت هائلة الحجم عندما بلغه ذلك الخبر . بعد أن شكر « صادق » الملك والملكة تقدم ليشكر الببغاء أيضاً . قال له : أيها الطائر الجميل ، انت الذى انقذت حياتي وجعلت مني وزيراً أول .. كلبة مولاتي وحصان مولاى ، سببا لي الكثير من الأضرار .. ولكنك انت جلبت لي الخير .. بالغرابة الأسباب التى تتوقف عليها مصائر البشر .

ثم اضاف صادق : ولكن السعادة التى يتم الحصول عليها بهذه الطريقة الغريبة من المحتمل أن تزول سريعاً .

فأجاب الببغاء . نعم .

جفل صادق عند سماع الاجابة ، ولكن بما انه من علماء الطبيعة الممتازين ويعرف أن الببغاوات ليس مكشوفاً عنها الحجاب لذلك سرعان ما طمان نفسه وبدا في القيام بواجباته على أكمل وجه . حرص على أن يشعر كل انسان بقداسة قوة القانون وليس بهيبة منصبه . لم يقف في وجه حرية التعبير في الديوان

وكان كل وزير حراً في التعبير عن وجهة نظره دون أن يغضب لذلك وعندما كان يقوم بدور القاضي في أمر من الأمور ، لم يكن هو الذى يقضي بالحكم، بل القانون.

وفي الحالات التي يكون فيها القانون قاسياً كان يخفف من شدته. وفي حالة عدم وجود قانون ينطبق على القضية المعروضة عليه، كان إحساسه بالانصاف يسعفه باتخاذ القرار الذى كان من الممكن ان يتخذه زراديشت نفسه.

لقد كان «صادق» هو الذى أعطى كل شعوب الأرض ذلك المبدأ العظيم (تبرئة شخص مذنب افضل بكثير من إدانة شخص برىء). آمن «صادق» أن الهدف من القوانين هو مساعدة البشر وليس ترويعهم. براعته الأساسية كانت في الكشف عن الحقيقة التي يحرص كل البشر على طمسها. ومنذ بداية عهده بالوزارة، حرص على أن تكون مواهبه في خدمة الخير.

● مات تاجر شهير في الهند، وأوصى أن يرث ولداه بالتساوى أملاكه بعد أن يقوما بتزويج اختهما. ثم ترك لها هدية مقدارها ثلاثون ألف قطعة ذهبية يأخذها الابن الذى يثبت أن حبه لأبيه كان أعظم من حب أخيه.

بنى الأخ الأكبر مقبرة لأبيه. أما الأصغر فقد أضاف جزءاً من نصيبه الخاص لنصيب اخته في عملية التجهيز لزواجها.

قال الجميع. الأخ الأكبر هو صاحب الحب الأعظم، أما الأصغر فحبه لأخته أعظم من حبه لأبيه.. لابد أن تكون الثلاثون ألف قطعة ذهبية من نصيب الأكبر.

أرسل «صادق» يستدعي الأخوين واحداً بعد الآخر، قال للأخ الأكبر: أبوك لم يمت، لقد شفي من المرض الذى كان يعاني منه، وهو الآن في طريقه عائداً إلى بابل.

فأجاب الشاب: سبحان الله.. ولكن مقبرته كلفتني مبلغاً طائلاً من المال.

قال صادق نفس الشيء للأخ الأصغر فأجاب: سبحان الله، سوف أرد لأبي كل ما حصلت عليه.. ولكني اتعشم أن يترك أبي لأختي كل ما أعطيته لها.

فقال صادق : لن ترد شيئاً وستحصل على الثلاثين الف قطعة ذهبية ، فأنت الذى يحب أباه أعظم الحب .

● ارملة شابة غنية جداً لديها طفل صغير ، تنافس إثنان من الكهنة على الزواج منها فقالت لهما : سأتزوج من الرجل الذى يتيح لى أن أعطى للامبراطورية مواطنا صالحا .

فقال أحدهما : انا قادر على ذلك .

وقال الثانى : بل انا القادر على ذلك .

فأجابت : حسناً ، سأتزوج هذا الذى يوفر لابنى أرقى تعليم .

رفعت القضية لصادق الذى استدعى الكاهنين وسال الأول : ماذا ستعلم تلميذك ؟

فقال الكاهن : سأعلمه أجزاء الكلام الثمانية ، سأعلمه التنجيم والفلك والسحر ، سأعلمه الفرق بين المادة وغير المادة ، والفرق بين المجرد والمؤكد ، والأصيل والعارض ، والهارمونية .

وقال الآخر : أما أنا فسوف أحاول أن أجعل منه شخصاً عادلاً ، وجديراً بصداقة الأصدقاء .

عند ذلك صاح صادق . أنت الذى سيتزوج الأم فأنت لطفلها نعم الوالد .





الخلافات والناس

هكذا كان صادق يظهر في كل يوم حدة ذكائه وطيبة قلبه . كان مثيراً للإعجاب وللحب أيضاً . وصل إلى ما يصل إليه أكثر الرجال حظا ، فاسمه يدوى في الامبراطورية كلها وهو محط أنظار كل النساء ، كل المواطنين تغنوا بعدالته وكل العلماء إعتبروه عميدهم حتى الكهنة إعترفوا أن لديه من المعرفة أكثر مما لدى الكاهن « يببور » بغض النظر عن ان الأخير مازال يرغب في عقابه من أجل آرائه عن « الجريفن » .

كانت هناك في بابل قضية مثيرة للجدل استمرت لمدة خمسمائة عام وقسمت الإمبراطورية إلى فريقين متعصبين ، الفريق الأول يؤمن بان معبد « ميثراس » لا يجب مطلقاً أن يدخله الانسان مبتدئا بالقدم اليسرى ، بينما الفريق الثاني يعد ذلك كفراً صريحاً .

انتظر الجميع بفارغ الصبر يوم الاحتفال بعيد النار المقدسة ليعرفوا أى الفريقين سينحاز إليه صادق، هل سيدخل المعبد بقدمه اليسرى أم باليمنى؟

ركز الجميع أعينهم على قدميه، المدينة كلها كانت فى حالة هياج وترقب، قفز صادق بكلتا قدميه داخلاً المعبد وبعد ذلك برهن فى خطاب بليغ على أن الله سبحانه وتعالى رب السموات والأرض، المنزه عن الهوى لا يهتم باستخدام القدم اليسرى أو اليمنى.

ولكن الرجل الحقود وزوجته قالا إن خطابه كان يخلو من المحسنات اللفظية والاستعارات والكنايات والجناس والطباق وانه لم يستطع دفع التلال والجبال للرقص بما فيه الكفاية.

قالا هو شخص جاف محروم من الخيال، فلا المحيط طار من أمامه، ولا النجوم سقطت ولا الشمس ذابت مثل الشمع وهو يلقى خطابه، إنه يفتقر إلى البلاغة الشرقية العظيمة.

ولكن «صادق» كان راضياً عن أسلوبه الخطابى المعقول الذى تفضله كل الطبقات ليس لأنه يقول الحق، وليس لأنه شخص منطقى، وليس حتى لأنه محبوب، ولكن لأنه رئيس للوزراء.

كان سعيداً أيضاً لأنه استطاع أن يضع حداً للنزاع المشتعل بين الكهنة البيض والكهنة السود. البيض كانوا يؤكدون انه من الضلال أن يولى الانسان وجهه ناحية الشرق وهو يصلى فى الشتاء، بينما السود واثقون أن الله لن يتقبل صلاة هؤلاء الذين يتجهون ناحية الغرب صيفاً.. أكد لهم صادق أن الأمر المهم حقاً هو أن يصلى الانسان.

كما إكتشف أيضاً السر الذى يمكنه من النجاح فى أداء كل أعماله العامة والخاصة، أن يخصص الصباح لذلك ثم يقضى بقية اليوم فى تحسين أحوال بابل.. إزدهر النشاط المسرحى فى عهده، فقدمت التراجيديات التى تدفع الناس إلى البكاء والكوميديات التى تدفعهم للضحك، تلك العادة- الضحك- التى انقرضت منذ زمن طويل واستطاع بذوقه الرفيع إعادتها. لم يتظاهر بأنه يفهم فى الفن اكثر من الفنانين انفسهم، بل منحهم

الجوائز والهدايا والتقدير دون أن يشعر سراً بالغيرة الداخلية من موهبتهم وفي المساء، كان يسلي الملك كثيراً ويسلي الملكة اكثر.

قال الملك: وزير عظيم.

وقالت الملكة: وزير ساحر.

كلاهما وافق على انه امر مؤسف حقاً لو كان «صادق» قد شنق.

لم يحدث من قبل أن رجل دولة كان مضطراً لمقابلة هذا العدد الكبير من النساء في مكتبه، الجزء الأكبر منهن كان ياتي ليتحدث معه في أشياء الهدف منها فقط هو محاولة عمل علاقة معه. واولهم زوجة الرجل الحقود. أقسمت له «بميثراس» و«زندافستا» والنار المقدسة إنها تحتقر مسلك زوجها، بعد ذلك اخبرته في مودة ان زوجها رجل غيور وانه يعاملها بوحشية. كما تركته يفهم أن الآلهة قد عاقبته بحرمانه من أشياء هامة للرجال. ثم أنهت كلامها بإسقاط حزامها على الأرض. التقط صادق الحزام بأدبه المعهود ولكنه لم يعرض عليها أن يربطه حول وسطها، هذا الخطأ البسيط- بفرض اعتباره خطأ- كان السبب فيما بعد في مصائب مروعة. لم يفكر صادق في مسألة الحزام هذه ولكن الرجل الحقود وزوجته فكرا فيها طويلاً.

إستمرت النساء في التوافد على مكتبه كل يوم. وتؤكد الحوليات السرية لبابل أنه استسلم للإغراء مرة واحدة. واصابته صدمة عندما اكتشف انه لم يستمتع بذلك، وأن عقله كان شارداً حتى في أكثر اللحظات رقة. الجميلة صاحبة النصيب كانت حسناء من وصيفات الملكة «عشتارت» قالت تعزي نفسها عندما لاحظت شروده وإنعدام حماسته: هذا الرجل تزدحم رأسه بأمور هائلة تجعله شارداً حتى وهو معي.

حدث في لحظة من تلك اللحظات التي يسكت فيها غالبية البشر، وينطق البعض منهم بعبارات التدليل الرقيقة، حدث أن صاح صادق فجأة: الملكة.

فظنت الحسناء البابلية ان برودته قد زالت وانه يقول لها: يامليكتي.



ولكن « صادق » وهو سارح العقل مضى فذكر اسم « عشتارت » فاعتقدت الحسناء البابلية التى كانت فى حالة من النشوه تجعلها تفسر فيها كل كلمة لصالحها ، تخيلت انه يقصد القول - انت أكثر جمالاً من الملكة « عشتارت » .

غادرت الحسناء حرملك صادق محملة بالهدايا الفخمة ثم مضت لتحكي قصة مغامرتها لزوجة الرجل الحقود ، التى كانت صديقة حميمة لها . استولت على الأخيرة حالة من النكد لتفضيله صديقتها عليها وقالت : هذا الحزام - الذى اقسم أننى لن استخدمه مرة اخرى - لم يتنازل حتي ليعيده إلى مكانه .

فقالت صديقتها المحظوظة : أوه .. انت ترتدين حزاماً من نفس النوع الذى تستخدمه الملكة ، هل انتما تحصلان على هذه الأحزمة من نفس الصانع ؟

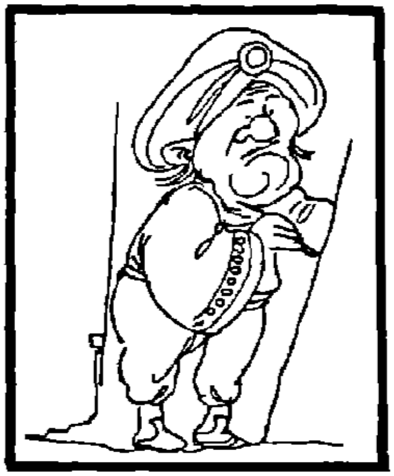
عند ذلك غرقت زوجة الرجل الحقود فى تفكير عميق ولم تحر جوابا . ثم مضت لتستشير زوجها الرجل الحقود فى نفس الوقت. اخذ صادق يتنبه لحالة الشرود التى تستولى عليه أمام الناس أو فى المحكمة . جهله بعلة ذلك الشرود كان مثار ضيقه الوحيد .

رأى فى المنام كما لو كان راقداً فى البداية على كومة من النباتات الجافة ، بعضها له أشواك تضايقه ، وبعد ذلك شاهد نفسه راقداً فى راحة وفخامة على سرير من الورد . ومن بين الورد خرجت حية أصابته فى القلب بلسانها الحاد المسموم .

قال صادق : باللأسف ، لقد رقدت وقتاً طويلاً على الأشواك ، وها أنا الآن أرقد على السرير المفروش بالزهور .

ترى من سيكون الحية ؟





الغــــيــــرة

إنبعثت نكبة صادق من نفس أسباب سعادته ، بالذات من ميزانه ، كان له لقاءات يومية مع الملك و« عشتارت » سحر حديثه مدفوعاً بالرغبة في إشاعة السرور فيمن حوله ، تلك الرغبة التى هى زينة للعقل مثلما الجمال زينة للشخص ، شبابه وسلوكه الرفيع ، كانت لها جميعاً - بلا وعى - تأثيرها على « عشتارت » التى لم تكن متنبهة لذلك التأثير فى البداية . نمت عاطفتها فى حضن البراءة . استسلمت « عشتارت » بلا هواجس أو خوف للإحساس بالسرور الناتج من رؤية وسماع شخص كان محبوباً لأقصى حد لزوجها وللدولة كلها . لم تتوقف عن إنشاد كلمات المديح له عند الملك .

حدثت وصيفاتها عنه باستمرار .. الوصيفات كن يمدحنه أكثر منها .. كل شيء كان يساعد على غرس سهم الحب عميقاً فى قلبها بلا وعى منها .

منحته الكثير من الهدايا التي تظهر من الحب أكثر مما تفترض هي . كانت تحدثه كملكة راضية عن خدمات واحد من رعاياها ، هذا ما كانت تقصده ، غير أن التعبيرات التي كانت تستخدمها احياناً هي تعبيرات لامراة رقيقة محبة .

« عشتارت » أكثر جمالاً من سميرة التي تكره الرجال ذوي العين الواحدة ، وأجمل من المرأة الأخرى التي أرادت أن تقطع أنف زوجها ، وتتحدث برقة بينما حمرة الخجل تكسو وجهها . عيناها ، بالرغم من محاولتها إبعادها عن عينيه ـ كانتا مركزتين دائماً على عينيه مشعلة بذلك في قلبه ناراً تثير دهشته . لقد حارب ، استنجد بالفلسفة التي لم تخذله من قبل ولكنها لم تفده شيئاً سوى انها اعطته رؤية أكثر وضوحاً لما يحدث . لم يحصل على الراحة في الفلسفة ، الواجب ، العرفان بالجميل ، تعديه على مليكه ، كل هذه الانفعالات هاجمته بعنف ، لقد قاوم وانتصر ، ولكن هذا الانتصار الذي لابد من تكراره في كل لحظة كلفه الكثير من الأنين والدموع . لم يعد يجرؤ على مخاطبة الملكة بتلك الانطلاقة الحرة التي كان لها سحرها على كليهما . غيوم ظللت عينه ، اصبحت أحاديثه معها متحفظة وقصيرة ، عيناه دائماً تنظران للأرض . وعندما ترتفع نظراته ـ بالرغم منه ـ إلى « عشتارت » كانت تواجه بعين الملكة وقد بللتها دموع تنبعث منها سهام من اللهيب . كما لو كان كل منهما يقول للآخر ، كل منا يعتز بالآخر ، ومع ذلك فنحن نخشى الحب ، كلانا يحترق بنار ندينها .

عندما يتركها صادق ، كان يتركها مذهولاً وتعساً وقلبه ينوء باحمال لم يعد قادراً على حملها . في غمرة هذا الاضطراب العنيف سمح لصديقه قادر أن يكتشف سره ، تماماً كما يحدث لرجل عاني في صمت اقصى درجات العذاب ثم اطلق فجأة صرخة إثر نوبة الم اعتصرته عصراً وجعلت جبينه يتصبب بالعرق البارد .

خاطبه « قادر » قائلاً : لقد خمنت أحاسيسك التي تحاول إخفاءها حتى عن نفسك فالعاطفة لها أعراضها التي لا تخطئها العين . أحكم بنفسك ياعزيزي صادق ، لقد استطعت انا قراءة

ما في قلبك إذن فمن المرجح أن الملك سيكتشف هذه العاطفة عند ذلك سيصدم صدمة مروعة . هذا الرجل مبرا من كل العيوب فيما عدا انه اكثر الرجال غيرة . انت تقاوم عاطفتك بقوة اكثر من الملكة لأنك فيلسوف ولأنك «صادق» ولكن «عشتارت» امرأة، تركت نظراتها تعبر عما في نفسها في غباء كبير لأنها تؤمن انها لم ترتكب ما تلام عليه . ولأنها واثقة من براءتها فهي لسوء الحظ تتجاهل الظواهر التي لابد ان تلاحظها . إنني ارتعد من الرعب طالما هي لا ترى ما يجب أن تلوم نفسها عليه إذا صارح كل منكما الآخر بحبه ، ووصلتما إلى إتفاق ، سوف تكونان قادرين على ذر الرماد في العيون . إن عاطفة متنامية يتم كبتها بالقوة ، تتفجر وتكشف عن نفسها في العلن . ولكن من السهل على الحب أن يخفي نفسه عندما يتم إشباعه .

أحس صادق بالرعشة تسري في جسده عند سماعه لذلك الاقتراح بخيانة الملك ولي نعمته . لم يكن من قبل أكثر إخلاصاً لمليكه من تلك اللحظة التي يشعر فيها بالذنب تجاهه لجريمة لا يدله فيها .

في نفس الوقت كان وجه الملكة يحمر بشدة عند النطق باسم «صادق» .. أحياناً كانت تشعر بأن الحياة تسري في عروقها وهي تكلمه ، وفي أحيان أخرى ، تشعر باضطراب شديد وهي توجه له الحديث في حضرة الملك للدرجة التي بدا معها الملك يلاحظ ذلك . فصدق ما يراه وساعده الخيال على تصديق كل ما لم يره . لقد لاحظ بوجه خاص أن حذاء زوجته ازرق ، وحذاء صادق أزرق . أشرطة الرأس الخاصة بزوجته صفراء ، وغطاء الرأس الخاص بصادق اصفر كذلك . شواهد مروعة ما لبثت أن تحولت بها الشكوك إلى امور مؤكدة في عقله المسمَّم .

كل الأرقاء عند الملوك والملكات يعملون في الدرجة الأولى جواسيس على قلوبهم . لذلك سرعان ما اكتشف أن «عشتارت» رقيقة و«موبدار» غيور . دفع الرجل الحقود زوجته إلى إرسال حزامها للملك وكان صورة طبق الأصل من حزام الملكة . وزاد الأمر سوءاً أنه كان أزرق . لم يعد يشغل عقل العاهل الآن سوى التفكير

في الطريقة التي سينتقم بها .

ذات ليلة قرر أن يقتل الملكة بالسم وأن يقتل صادق خنقاً عند الفجر . أصدر اوامره إلى واحد من اغواته وهو شخص لا يعرف الرحمة . تعود على تكليفه بمثل هذه المهام . حدث في ذلك الوقت ان كان هناك في حجرة الملك قزم صغير اخرس ولكنه ليس أصم ، كان مسموحاً له مثل اى حيوان اليف بالتجول في اى مكان وأى وقت ، لذلك كثيراً ما كان شاهداً على احداث غاية في السرية والخصوصية .

هذا القزم الصغير الذى كان يشعر بود كبير للملكة ولصادق ، استمع في رعب ودهشة للأمر الصادر بقتلهما . ولكن ماذا في مقدوره أن يفعل ليمنع هذا الأمر المخيف الذى سيتم تنفيذه بعد عدة ساعات ؟

لم يكن يعرف القراءة والكتابة ، ولكنه كان قد تعلم الرسم ، وعلى نحو خاص كان حاذقاً في رسم صورة طبق الأصل من أى شيء . قضى شطراً كبيرا من الليل يرسم ما يريد إبلاغه للملكة . رسم في ركن الصورة الملك في حالة هياج وهو يعطي أوامره للأغا ، قوس ازرق وكاس على مائدة ثم حزام وشريط أصفر ، الملكة في منتصف الصورة تلفظ أنفاسها الأخيرة بين أيدى وصيفاتها ، صادق يرقد مخنوقاً تحت قدميها ، شمس اخذة في الشروق عند الأفق دلالة على ان هذه الأمور المرعبة ستحدث مع ومضات الفجر الأولى .

بمجرد أن إنتهى من عمله جرى إلى واحدة من وصيفات الملكة واشار لها بانها يجب ان توصلها إليها في التو واللحظة .

في منتصف الليل ، طرق أحدهم باب «صادق» فاستيقظ من النوم ، أعطيت له رسالة من الملكة ، انتابه الشك في أنه يحلم ، فتح الخطاب بيد مرتعشة . لا أحد قادر على وصف ذهوله وضياعه وهو يقرأ هذه الكلمات «إهرب في هذه اللحظة وإلا فستقتل ، أهرب ياصادق ، إنني آمرك باسم حبنا وباسم شريطي الأصفر ، إنني لم أرتكب اى خطأ ، ولكني أرى انني سأموت مثل اى مجرم .



ارسل صادق الذى كان فى حالة من الضعف يرثى لها يستدعى «قادر» وبغير كلمة واحدة أعطاه الخطاب، ارغمه «قادر» على إطاعة التعليمات التى جاءت به، وأن يرحل فوراً إلى «ممفيس» قال له: إذا جرؤت على الذهاب بحثاً عن الملكة فستنجح فقط فى التعجيل بموتها. إذا تحدثت مع الملك فستؤدى هذه الخطوة إلى هلاكها. سأتكفل بمصيرها فتكفل بمصيرك. سأنشر إشاعة بأنك أخذت طريقك للهند. سوف ألحق بك وأخبرك بكل ما حدث فى بابل.

أمر «قادر» بغير لحظة تأخير بإحضار ناقتين من أسرع النوق فجاءتا إلى بوابة سرية فى القصر. ساعد صادق على ركوب إحداها، كان لابد من حمله فقد كان ضعيفاً كمن أوشك على الموت. اصطحب خادما واحدا فقط وسرعان ما غاب ذلك الصديق عن أنظار «قادر» الذى غرق فى الحزن والذهول.

عندما وصل ذلك الهارب ذو المقام الرفيع إلى حافة تل يشرف على بابل، حول أنظاره تجاه قصر الملكة وغاب عن وعيه، ثم استعاد حواسه فقط ليبكى وليتمنى لو أنه كان ميتاً.

وأخيراً وبعد أن انشغل فترة بالتفكير فى أحب النساء وأفضل الملكات عاد إلى نفسه وتساءل:

ما هى إذن حياة البشر؟.. أيتها الفضيلة بماذا نفعتينى؟ إمرأتان خدعتانى بحقارة والثالثة، البريئة، والتى كانت أكثر جمالاً من الآخرين على وشك أن تموت.. كل الخير الذى قدمته جلب على دائماً اللعنة. لقد ارتفعت إلى أعظم مراتب العظمة، فقط لكى أسقط لأسفل سافلين. لو أننى كنت شريراً مثل الكثيرين، إذن لكان من الممكن أن أكون سعيداً مثلهم.

مقهوراً بهذه الأفكار الكئيبة، وبعينين يملؤهما الأسى، وشحوب الموت على وجهه بينما روحه غارقة فى أعماق اليأس المظلم واصل «صادق» رحلته إلى مصر.



المرأة المضروبة

استرشد صادق فى طريقه بمجموعة نجوم الجوزاء والشعرى اليمانية فى اتجاه «كانوبس» تعجب من هذه الكواكب البعيدة المضيئة التى تظهر لأعيننا كالومضات الضعيفة ، بينما الأرض وهى فى حقيقتها ليست أكثر من نقطة صغيرة جداً فى الكون تظهر لأعيننا الجشعة وكأنها شيء عظيم ونبيل . فكر صادق فى البشر كما هم عليه فى الحقيقة ، حشرات يلتهم كل منها الآخر على ذرة صغيرة من الطين . هذه الصورة الحقيقية بدأ كما لو أنها تزيل احساسه بنكبته ، فقد جعلته يفكر فى وجوده هو ووجود بابل . أندفعت روحه فى اتجاه اللانهائية ، انفصلت عنه حواسه ، تأمل هذا النظام الكونى الذى لا يتبدل . ولكنه عندما عاد إلى نفسه ونظر داخل قلبه فكر فى أن عشتارت ربما تكون قد ماتت بالفعل

من أجله ، عند ذلك غامت الطبيعة أمام عينيه ولم ير فى الطبيعة كلها سوى صورة « عشتارت » وتعاسة « صادق » .

بينما هو مستسلم لهذا الفيض من الأفكار الفلسفية والحزن الطاغي ، اقترب من الحدود المصرية . كان خادمه المخلص قد سبقه بالفعل إلى أول قرية باحثاً عن مكان للإقامة . وبينما هو يسير متجهاً إلى الحدائق التى تشرف على القرية رأى غير بعيد عن الطريق إمرأة فى حالة هستيرية تصرخ مستغيثة بمن هم فى الأرض وفى السماء ، وشاهد رجلاً يطاردها فى حالة هياج شديد . لحق بها الرجل قبل « صادق » طوقت المرأة بذراعيها ركبتيه فى توسل بينما انهال هو عليها بالضربات والشتائم . حكم « صادق » من عنف المصرى ومن توسلات المرأة التى تطلب المغفرة أنه غيور وأنها غير مخلصة . ولكنه عندما رآها عن قرب وجدها ذات جمال ساحر ، أكثر من ذلك ، كانت ملامحها قريبة من ملامح « عشتارت » التعسة ، فشعر بعاطفته تتحرك تجاهها وشعر بالرعب تجاه الرجل .

صرخت المرأة بصوت مختنق بالدموع : الحقنى .. إنجدنى من هذا الرجل المتوحش .. أغثنى .. إنقذنى .. إنقذ حياتى .

عندما استمع صادق إلى صرخاتها أندفع جارياً وألقى بنفسه بينها وبين الرجل المتوحش ولمعرفته القليلة باللغة المصرية ، خاطبه بها قائلاً إذا كان لديك ذرة من الإنسانية ، أتوسل إليك أن تحترم الجمال والضعف ، كيف تعامل بهذه القسوة قطعة رائعة من الطبيعة ملقاة تحت قدميك بلا حماية إلا من دموعها .

أجابه الرجل وقد ازداد هياجه : هاها .. انت إذن عشيق آخر من عشاقها سانتقم منك انت ايضا .

ترك الرجل السيدة التى كان يمسك بشعرها بإحدى يديه وبالرمح باليد الأخرى ، حاول أن يخترق جسم « صادق » بالرمح ، ولكنه لأنه كان هادئاً ورابط الجاش تمكن بسهولة من تجنب الضربة التى وجهها إليه الرجل فاقد الصواب . أمسك « صادق » بالرمح بالقرب من السن الحديدى ، حاول الرجل أن يجذب الرمح إلى الخلف فتشبث به صادق بقوة فانكسر الرمح بينهما . سحب



الرجل سيفه ففعل «صادق» نفس الشيء فبدأ القتال بينهما . وجه له الرجل مئات الضربات تفاداها صادق بمهارة . السيدة التى كانت الآن تجلس على الحشائش أخذت تسرح شعرها وهي تنظر بهدوء لما يحدث . كان المصرى أقوى من غريمه ولكن صادق كان الأكثر مهارة قاتل بعقل هادىء بينما الآخر يضرب ضربات عشوائية وقد أعماه جنون الغضب . شن عليه «صادق» بدوره هجمة قوية ، واستطاع أن ينزع منه سلاحه بضربة مفاجئة . جن جنون الرجل وقفز على «صادق» فأمسك به الأخير بقوة والقاه على الأرض ثم وجه سيفه إلى صدره وعرض عليه حياته ، عندئذ سحب الرجل خنجره وطعن صادق فى نفس اللحظة التى كان يمنحه فيها العفو . اغمد صادق سيفه في قلبه على الفور فصاح الرجل صيحة مرعبة وانتفض جسمه بشدة ثم مات :

تقدم صادق من السيدة وخاطبها في احترام . لقد أرغمنى على قتله .. لقد انتقمت لك وخلصتك من رجل وحش لم أشاهد من قبل أحداً يماثله وحشية .. ماذا استطيع أن افعل الآن من أجلك ياسيدتى ؟

أجابت . أن تموت .. مت أيها التعس .. لقد قتلت حبيبى .. آه لو كنت استطيع أن استخرج قلبك من صدرك بأظافرى .

قال «صادق» . حقاً ياسيدتى ؟.. ياله من حب من نوع غريب !! .. لقد كان يضربك بكل ما فيه من عزم .. وأراد القضاء على حياتى لمجرد أنك استنجدت بى ..

قالت وهى تعول : ليته ظل يضربنى حتى الآن .. انا استحق الضرب .. أنا السبب في إثارة غيرته .. ليته ظل يضربنى .. وليتك انت كنت المقتول .

فقال صادق بدهشة وسخط لم يشعر بمثلهما فى حياته . سيدتى .. أنت بكل جمالك تستحقين أن أضربك بدورى لسلوكك غير المعقول ، ولكنى لن أزعج نفسى بذلك .

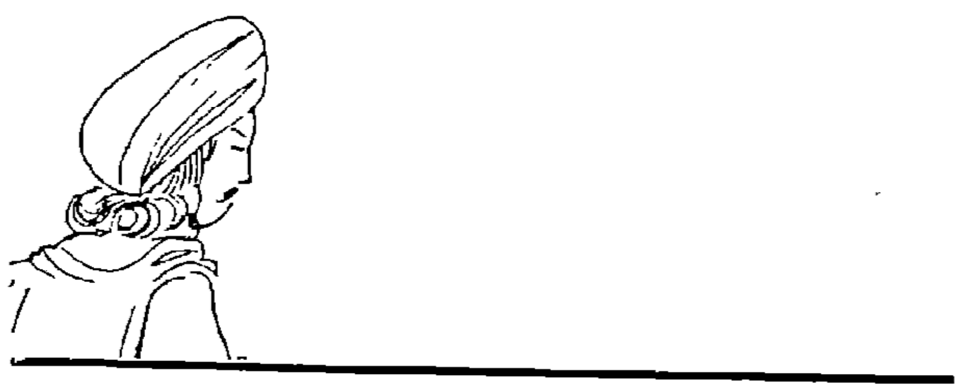
إعتلى صادق ناقته وتقدم صوب القرية ، ما كاد يتقدم بضع خطوات حتى سمع جلبة ، نظر خلفه فوجد أربعة فرسان من بابل قادمين بسرعة ، عندما شاهدوا المرأة صاح أحدهم : هذه هى

السيدة المطلوبة، إنها تشبه تماماً الوصف الذى أعطوه لنا ..

لم يهتموا بجثة الرجل الملقاة على الأرض، هجموا على السيدة فامسكوا بها بينما هي تصرخ منادية «صادق»: الحقني مرة أخرى أيها الغريب الكريم .. إنني أطلب منك العفو لتوبيخي إياك .. انقذني .. ساكون لك بقية الحياة.

ولكن صادق لم يعد يشعر بأية رغبة في القتال من أجلها، أجابها: وجهي استغاثاتك لشخص آخر .. لن تتمكني من اصطيادى مرة أخرى.

أضف إلى ذلك أن جرحه كان ينزف، هو نفسه كان في حاجة لإسعاف. ولكن رؤيته للفرسان الأربعة القادمين من بابل، والذى من المحتمل أن الملك «موبدار» هو الذى أرسلهم ملأته بالقلق لذلك أسرع في اتجاه القرية غارقاً في الدهشة. لماذا يأتي أربعة أشخاص من بابل لاختطاف إمرأة مصرية ولكن دهشته كانت أكبر لسلوك السيدة.





العبودية

ماكاد يدخل القرية حتى وجد نفسه محاطاً بالبشر، كل منهم يصرخ: هذا هو الأخ الذى خطف «ميسوف» الجميلة، والذى قتل لتوه «كليتوفيس».

فقال صادق: أيها السادة، لتحفظنى السماء من مجرد التفكير فى خطف «ميسوف» الجميلة، فهى أكثر طيشاً من أن تصلح لى.. أما بالنسبة للأخ «كليتوفيس» فلم أقتله، لقد دافعت عن نفسى فقط. أراد قتلى لأننى طلبت منه بكل تواضع أن يعفو عن «ميسوف» الجميلة التى كان يضربها بلا رحمة. إننى غريب جئت بحثاً عن ملجأ فى مصر، ومن غير المعقول وأنا أطلب حمايتكم، أن أبدأ بخطف إمرأة وقتل رجل. كان المصريون فى ذلك الوقت عادلين وانسانيين، اقتادوه لمجلس المدينة، فى البداية ضمدوا جرحه ثم بدأوا فى استجوابه هو وخادمه كل على حدة للوصول إلى حقيقة ماحدث.

بريء صادق من تهمة القتل ولكنه أدين بتهمة إبادة الجنس البشري . في هذه الحالة يحتم القانون أن يتحول إلى عبد . بيعت الناقتان لحساب مجلس القرية وكل الذهب الذى كان يحمله تم توزيعه على المواطنين ثم عرض للبيع هو وخادمه في سوق القرية فدفع فيه أحد التجار العرب واسمه « السيتوك » أعلى سعر ولكنه دفع في خادمه ثمناً يزيد بكثير عن الثمن المدفوع لشراء سيده ، فهو أكثر ملاءمة منه للأعمال الشاقة ، الواقع انه لم يكن هناك وجه للمقارنة بين الرجلين ، وهكذا اصبح صادق عبداً مساعداً لخادمه الخاص . ربط الاثنان في سلسلة تلتف حول اقدامهما واقتادهما التاجر على هذه الحالة إلى منزله ، وفي الطريق أخذ « صادق » يعزى خادمه الخاص ويحثه على الصبر ، وكعادته أخذ يعبر عن تأملاته للحياة الانسانية ، قال : أرى أن قدرى التعس قد نشر ظله عليك ، قابلت حتى الآن في كل منعطف تحولات غريبة ، حكم على بدفع غرامة كبيرة لأنني رايت آثار كلبة .. كنت على وشك أن أعاقب بسبب « الجريفن » صعدت إلى المشنقة لأنني كتبت بعض البيوت الشعرية أمدح فيها الملك ، تعرضت للموت خنقاً لأن الملكة لديها شريط أصفر ، وها انذا الآن عبد رقيق على قدم المساواة معك لأن رجلاً متوحشاً اختار ان يضرب حبيبته ، ولا يهمك ، لا يجب ان نفقد شجاعتنا ، كل هذا سينتهي ، التجار العرب لابد أن يكون عندهم عبيد ، لماذا لا اكون أنا واحدا منهم مثل اى شخص آخر ؟ هذا التاجر لن يكون مجرداً من الرحمة ، لابد أن يعامل عبيده معاملة حسنة إذا أراد ان ينتفع بهم .

كانت هذه هي كلماته ، ولكنه في أعمق أعماقه ، كان منشغلاً بمصير ملكة بابل .

رحل « السيتوك » التاجر بعد يومين إلى الصحراء العربية بعبيده وجماله ، كانت قبيلته تسكن قريباً من صحراء « حوريب » حيث الطريق إليها طويل وشاق . في اثناء الرحلة اهتم التاجر برعاية الخادم أكثر من اهتمامه برعاية « صادق » فالأول يجيد تحميل الجمال ومن الطبيعي أن أى محاولة للمفاضلة بينهما

كانت لصالح الخادم . مات أحد الجمال قبل وصولهم « حوريب » بيومين فوزعت حمولته على الرجال ، كل منهم حمل على ظهره الجزء الخاص به بما فيهم صادق ، ضحك « السيتوك » وهو يرى العبيد يسيرون وقد انحنت أجسامهم بشدة . شرح له صادق السبب وانتهز الفرصة لكي يشرح له بعض قوانين التوازن . بدأ التاجر المندهش ينظر له بعين الاعتبار . وبعد أن أثار « صادق » فضول الرجل ضاعف هذا الفضول بأن أخذ يعلمه أشياء لها صلة وثيقة بعمله مثل الجاذبية النوعية للمعادن والخواص التى تتميز بها الحيوانات ، والطريقة التى تجعلها بها مفيدة بينما هى فى الطبيعة ليست كذلك .

أخذ الرجل يؤمن بأن « صادقاً » واحد من الحكماء وبدأ يعامله على هذا الأساس فضله على خادمه ولم يكن هناك ما يدفعه للندم على ذلك .

كان أول ما فعله « السيتوك » عندما وصل إلى قبيلته ، هو أن طلب استرداد خمسمائة أوقية من الفضة سبق له أن أقرضها لأحد اليهود فى حضور اثنين من الشهود ، ولكن الشاهدين توفيا ، فاستحل اليهودى الواثق من انعدام البرهان على الدين ، استحل مال العربى وشكر الله الذى منحه هذه الفرصة التى أتاحت له أن يغش عربياً . أسرَّ التاجر بحكايته « لصادق » الذى أصبح الآن مستشاراً له فى كل الأمور ..

سأله صادق : فى أى مكان اقرضت هذه الأوقيات الخمسمائة لهذا الكافر ؟

أجاب : على صخرة كبيرة بالقرب من جبل « حوريب » .

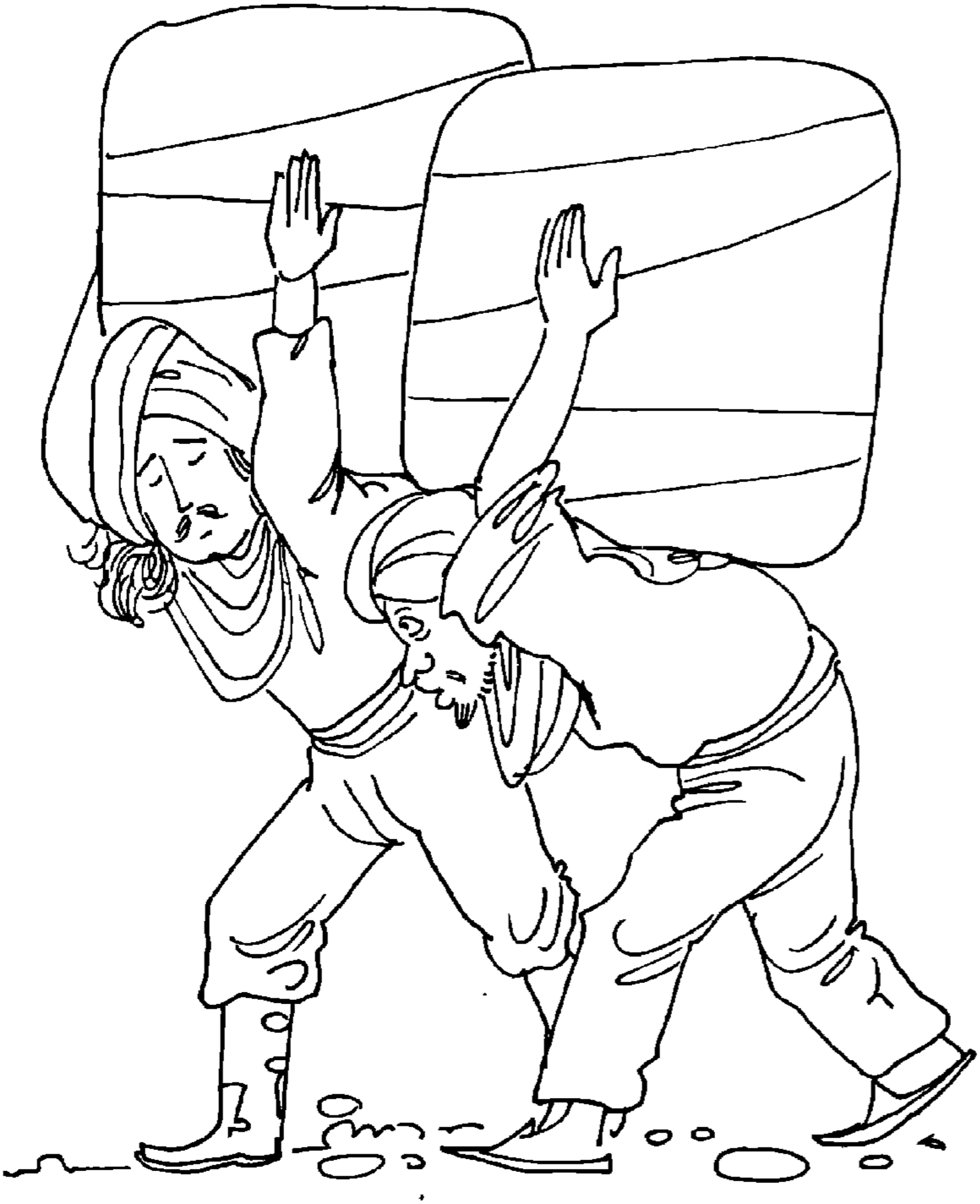
سأله صادق : أى نوع من الرجال هو ؟

اجاب التاجر : وغد ..

فقال صادق . أقصد ، هل هو متسرع أم متأن ، حريص ، أم طائش ؟

أجاب السيتوك : من بين كل زبائنى المماطلين فى الدفع ، هو اكثر الرجال الذين قابلتهم فى حياتى تسرعاً .

- حسناً .. اسمح لى أن أدافع عن قضيتك أمام القاضى .



وبناء عليه تم استدعاء اليهودى أمام القاضى، وبدأ صادق مرافعته ياوسادة عرش الإنصاف، جئت هنا أطلب من هذا الرجل باسم سيدى أن يرد خمسمائة أوقية من الفضة رفض أن يردها.

سأله القاضى: هل لديك شهود؟

- لا.. لقد ماتوا.. ولكن هناك صخرة كبيرة تم عد النقود عليها، إذا تفضلت سعادتك وأرسلت بمن يأتى بها، أتعشم أن تحمل الدليل على صدق أقوالنا، سوف نظل هنا، اليهودى وأنا حتى تصل الصخرة، وسيتكفل سيدى بدفع نفقات إحضارها.

قال القاضى: هذا أمر طيب.

ثم مضى لبعض شئونه، وفى نهاية الجلسة قال لصادق: حسناً، صخرتك لم تأت بعد.. هل وصلت؟ فضحك اليهودى وأجاب. ياصاحب السعادة، الأمر يتطلب أن نبقى هنا حتى الصباح حتى تصل الصخرة، هى على بعد ستة أميال وتتطلب خمسة عشر رجلاً فقط ليحركوها من مكانها.

فصاح صادق: جميل.. ألم أقل إن الصخرة ستأتى بالدليل على صدق أقوالنا؟! بما أن هذا الرجل يعرف أين هى.. اذن هو يعترف بأن النقود قد تم عدها عليها.

استولى الاضطراب على اليهودى واضطر للإعتراف بالحقيقة كلها. فأمر القاضى بأن يشد إلى الصخرة بلا طعام أو شراب حتى يرد الخمسمائة أوقية من الفضة، فسارع بدفعها.

وهكذا احتلت حكاية العبد «صادق» والصخرة مكاناً هاماً فى أحاديث البشر فى الجزيرة العربية لوقت طويل جداً.





المحرقة

سحر «الستوك» بعبده صادق، فاتخذ منه صديقاً حميماً لا يمكن الاستغناء عنه. تماماً كما كان الحال مع ملك بابل. وكان صادق سعيداً، لأن «الستوك» كان أعزب وجد صادق في سيده رجلاً فاضلاً راجح العقل ولكن من المؤسف أنه يعبد الشمس والقمر والنجوم طبقاً لما كان متبعاً أيام الجاهلية فى الجزيرة العربية.

فى بعض الأحيان، كان «صادق» يتحدث إليه حول هذا الموضوع فى احتراس وحذر وأخيراً قال له إنها مجرد أجسام مادية مثلها مثل الأشجار والصخور ومثل اى شيء آخر وانها لا تستحق التقديس، فقال «الستوك»: ولكنها كائنات خالدة لاتفنى، اضف إلى ذلك انها بعيدة جداً لدرجة أن الانسان لا يستطيع أن يمنع نفسه من عبادتها، ونحن نستمد منها كل ما يفيدنا من منافع.

أجاب صادق : أنت تحصل على منافع أكثر من البحر الأحمر الذى يحمل بضاعتك إلى الهند . لماذا لاتعبده هو الآخر؟ هو أيضاً قديم وخالد خلود هذه النجوم .. وإذا كنت تعبد الأشياء لمجرد أنها بعيدة جداً عنك .. فلماذا لاتعبد بلاد «الكانجارو» التى تقع فى الناحية الأخرى من العالم؟

قال «الستوك» . الأمر يختلف بالنسبة للنجوم ، فهى ذات بريق ولمعان لا أستطيع معه الامتناع عن عبادتها . عندما جاء المساء اشعل صادق عدداً كبيراً من الشموع فى الخيمة التى سيتناول فيها عشاءه مع سيده . بمجرد أن ظهر سيده ركع على ركبتيه أمام هذه الشموع قائلاً : أيتها الأنوار البراقة الخالدة .. كونى رحيمة بى : وبعد أن انتهى من صلاته جلس إلى مائدة العشاء دون أن يبدى اهتماماً «بالستوك» .

سأله التاجر فى دهشة : ماهذا الذى تفعله؟

أجاب صادق : إننى افعل ماتفعله أنت ، إننى أصلى لهذه الشموع واتجاهل سيدها وسيدى . فهم «الستوك» المعنى العميق لهذا الدرس ، وتسللت حكمة عبده إلى أعماقه ، لم يعد يبدى إهتماما أو يحرق البخور لأى من المخلوقات وبدأ يعبد الخالق الذى خلق الأشياء جميعاً . فى ذلك الوقت كانت هناك عادة مرعبة انتقلت فى الأصل إلى تلك المنطقة من الهند مهددة بأن تغزو الشرق كله . عندما يموت رجل متزوج وتريد زوجته أن تحصل على البركة ، فلابد أن تحرق نفسها علناً فوق جسد زوجها فى احتفال كبير يقام بهذه المناسبة ويسمى عيد «نار الترمل» وكانت القبائل التى يستهلك من نسائها عدد كبير بهذه الطريقة تحظى بشرف كبير .

مات واحد من رجال قبيلة «الستوك» ، ارملته وتسمى «منى» وكانت سيدة متدينة أعلنت اليوم والساعة اللتين ستلقى فيهما نفسها فى النار على صوت الطبول والأبواق . أوضح صادق «للستوك» مدى خطورة تلك العادة المخيفة على الجنس البشرى ، ففى كل يوم تحرق آرامل كان من الممكن أن يعطين أطفالاً للدولة أو على الأقل يتمكن من تربية اطفالهن ، ثم اقنعه



انه لابد ـ إذا أمكن ـ القضاء على هذه العادة الهمجية .
أجاب « الستوك » : أكثر من ألف عام مرت الآن منذ أن حصلت المرأة على الحق في إحراق نفسها . من منا قادر على تغيير قانون أضفى عليه الزمن قداسة . هل هناك أكثر تبجيلاً من العادات الشريرة القديمة ؟

أجاب صادق : العقل أكثر قدماً ، كلم رؤساء القبائل وسأذهب أنا للبحث عن الأرملة الصغيرة . قدموه لها ، استراحت له بعد أن اثنى على جمالها وبعد أن أخبرها انه أمر مؤسف أن كل هذا السحر ستلتهمه النار ، عاد وامتدح ثباتها وشجاعتها قال لها : لابد انك كنت تحبين زوجك لدرجة تستحق الإعجاب .
ـ أنا ؟ .. أبداً ، على الاطلاق ، لم أكن أطيقه ، كان غيوراً ومتوحشاً ولكني مصممة على إلقاء نفسي في النار معه .

ـ من الواضح أن الانسان عندما يموت حرقاً يشعر بلذة كبرى .
ـ أعوذ بالله إن مجرد التفكير في ذلك يشعرني بالرعب ويجعل الدنيا كلها تهتز أمامي ، ومع ذلك فلابد أن أتحمل ذلك . أنا إنسانة تقية ، سأفقد سمعتي ويسخر مني الجميع إذا لم أحرق نفسي .
بعد أن حصل منها صادق على إعتراف بأنها ستحرق نفسها من أجل الآخرين ، وبدافع من قضية باطلة أخذ يتحدث إليها طويلاً بطريقة تدفعها لكي تتعلق بالحياة وتحبها ولو قليلاً ، أكثر من ذلك ، حاول أن يدفعها للإحساس ببعض العاطفة تجاهه هو .. اخيراً قال لها : ماذا يمكن أن تفعلي الآن إذا تسنى لك ألا تحرقي نفسك ؟
أجابت : بالحسرة .. في هذه الحالة أعتقد أنه من الممكن أن أسألك أن تتزوجني .
لم يكن هناك شيء يشغل عقل « صادق » سوى « عشتارت » لدرجة أنه لم يتنبه لما صرحت به السيدة ولكنه انصرف في الحال وذهب إلى رؤساء القبائل المختلفة وحكى لهم ما جرى ثم نصحهم أن يستنوا تشريعاً جديداً ينص على أنه لا يجب السماح للأرملة أن تحرق نفسها إلا بعد أن تلتقي بشاب في جلسة خاصة

ويتحدثا معاً لمدة ساعة كاملة ، منذ ذلك الوقت لم تحرق أرملة نفسها في المنطقة العربية .

إن الفضل يعود لصادق وحده في انه قضى في يوم واحد على تلك العادة الوحشية ، وبذلك استحق أن يحتل تلك المكانة الرفيعة التي يحتلها في الحواديت العربية .





العشاء

اصطحب الستوك الذى لم يعد يستطيع مفارقة عبده الحكيم، اصطحب «صادق» إلى معرض البصرة الكبير الذى يحضره أعظماتجار الأرض، كان جميلاً أن يرى صادق هذا العدد الكبير من البشر الذين قدموا من بلاد مختلفة يتجمعون فى هذا المكان. خيل إليه أن العالم كله أسرة واحدة كبيرة اجتمعت فى هذه البقعة. فى اليوم التالى لوصولهما وجد نفسه على المائدة مع مصرى وهندى قادم من على ضفاف «الجانج» وواحد من سكان الصين ويونانى وكلتى وآخرين من جنسيات مختلفة.

قال المصرى وهو فى حالة غضب شديد: يالها من مدينة كريهة .. إننى لا أستطيع الحصول هنا على قرض لا يتجاوز الف أوقية من الذهب، مقابل أعظم ضمان فى العالم.

قال «الستوك»: كيف يحدث هذا ..؟.. ما هو الضمان الذى عرضته؟.

قال الرجل : جثة عمتي ، كانت أفضل امرأة في مصر ، صحبتني في كل رحلاتي ، وماتت وأنا في طريقي إلى هنا .. فقمت بتحنيطها بطريقة فاخرة ، وأصبحت مومياء عظيمة ، في بلدي أستطيع الحصول على أي مبلغ إذا قدمتها رهناً ، من الغريب أنه لا أحد هنا على استعداد لإقراض حتى ألف أوقية ذهبية في مقابل هذا الضمان الأكيد .

بالرغم من أحساسه بالسخط ، كان على وشك أن يلتهم دجاجة فاخرة مسلوقة عندما صاح فيه الهندي وهو يجذبه من يده : آه .. ماذا ستفعل يا رجل ؟

أجاب الرجل ، صاحب المومياء : سآكل هذه الدجاجة .

فقال الرجل القادم من على ضفاف « الجانج » : احترس .. من الممكن أن تكون روح المرحومة قد سكنت هذه الدجاجة ، طبعاً أنت لا تريد المجازفة بأكل عمتك .. إن أكل الدواجن عدوان بشع على الطبيعة .

قال المصري الغاضب : ما هذا الهراء الذي تقوله عن الطبيعة والدواجن .. ؟ . نحن نعبد الثور ومع ذلك نأكل لحمه .

صاح الهندي : تعبدون الثور .. مستحيل .

- نحن نفعل ذلك منذ مائة وخمسة وثلاثين الف عام ، لا أحد فينا اعترض على ذلك .

- لابد أن في حديثك بعض المبالغة ، فقد سكن البشر الهند من تسعين ألف سنة فقط ، ونحن بلا شك أقدم منكم ، ولقد حرم علينا « براهما » أكل الثور قبل أن ترسموه على معابدكم .

- كيف تقارن « براهما » بعجل « أبيس » .. ؟ ما هي تلك الأشياء العظيمة التي فعلها « براهما » ؟

أجاب البراهمي : هو الذي علم البشر القراءة والكتابة ، والعالم كله مدين له بفضل اختراع الشطرنج .

- انت مخطيء .

قالها « الكلداني » الذي يجلس بالقرب منه : إنه الحوت « أوانيس » وحده الذي يجب أن يقدسه الجميع ، لأنه صاحب الفضل في كل ما ذكرت من اشياء . إسأل أي شخص عنه ، سيخبرك

بانه كائن مقدس، له ذيل من ذهب ووجه إنساني جميل، كان متعوداً على الخروج من الماء إلى البر ليعظ البشر كل يوم لمدة ثلاث ساعات، ولديه اطفال عديدون، كلهم كانوا ملوكاً، هذا ما يعرفه الجميع، لدى صورته في البيت، وانا افيها حقها من التبجيل، نستطيع أن ناكل من اللحم ما يحلو لنا، ولكن من المؤكد انها خطيئة كبرى أن نطهو سمكة، هناك أمر آخر أقوله لكما .. انت وهو من اصول متواضعة وحديثة، وهذا يمنعكم من مناقشتي في أي شيء، الشعب المصرى عمره فقط مائة وخمسة وثلاثون الف عام، والهنود لا يمكن أن يفتخروا باكثر من تسعين الف سنة بينما دليل السنوات عندنا يعود لأربعة آلاف قرن، صدقوني، تخلوا عن هذا العبط الذى تقولون، وسأعطى كل واحد منكم صورة جميلة للحوت «أوانيس».

وهنا قال الرجل الصيني كلمته: إنني أكن احتراماً كبيراً للمصريين والكلدانيين واليونانيين والكلتيين، والبراهما والعجل ابيس، والحوت أوانيس العظيم ولكن ربما كان «لى» أو «تين» (أضاف هنا فولتير ملحوظة يقول فيها أن «لى» كلمة صينية ربما تعنى الضياء الطبيعي والعقل وأن كلمة «تين» تعنى السماء وتشير إلى الله أيضاً) .. «لى» أو «تين» .. أى اسم تختاره منهما، يساوى كل العجول وكل الحيتان المقدسة، لن اقول شيئاً عن بلدى، إنما تساوى في الحجم مصر وكالدونيا والهند مجتمعة، لن ادخل في نقاش حول درجة القدم، الأكثر اهمية من كل شيء، أن يكون الإنسان سعيداً .. لا اهمية كبرى لأن يكون الإنسان قديماً جداً، ومع ذلك إذا كانت هناك ضرورة للحديث عن دليل السنوات، فأنا أستطيع القول أن آسيا كلهاتستشيرنا نحن وكان لدينا أعظم علماء الرياضيات قبل ان تعرف كالدونيا أى شيء عن اى شيء.

عند ذلك صرخ اليوناني: يا لكم من مجموعة من الجهلاء، هل من المعقول إنكم لا تعرفون أن «كاوس» هو ابو كل الأشياء وان الشكل والمادة هما سبب جعل العالم على هذه الحالة التى نعرفها؟



تكلم اليوناني طويلاً حتى قاطعه في النهاية «الكلتي» الذي شرب كثيراً بينما كان الآخرون منهمكين في النقاش، خيل إليه الآن انه أكثر عقلاًمنهم جميعاً، اقسم بأيمان مغلظة أنه لا شيء يستحق عناء الحديث إلا «التيوتون» والزهور البرية التي تنمو علي شجر السنديان، لدرجة أنه يحتفظ ببعضها دائما في جيبه، ثم قال إنه لا أحد على الأرض كان في أمانة أجداده، حقاً كانوا يأكلون لحم البشر ولكن ذلك لا يمنع الانسان من أن يحترم أمته. ثم قال انه سيؤدب اى شخص يتفوه بكلمة واحدة ضد «التيوتون». عند ذلك تفجرت المعركة، ورأى «الستوك» أن الدماء على وشك أن تسيل في لحظة على المائدة. أخيراً نهض صادق الذى ظل ساكتاً طول النقاش، وجه الحديث «للكلتي» الذي كان أكثرهم ضراوة، أخبره أنه على حق وطلب منه بعض الزهور البرية. ثم اثنى على اليوناني لفصاحته فهدأ بذلك الهياج العام ثم قال كلمات قليلة للرجل الصيني لأنه كان أكثرهم معقولية، بعد ذلك قال للجميع: يا أصدقائي، كنتم على وشك التقاتل من أجل لا شيء، أنتم تؤمنون بشيء واحد. عندما سمعوه يقول ذلك صاحوا محتجين بصوت مرتفع فقال للكلتي: أليس صحيحاً إنك لا تعبد تلك الزهور البرية، بل تعبد هذا الذى خلقها وخلق أشجار السنديان؟

أجاب «الكلتي»: بالتأكيد..

- وأنت أيها الصديق المصرى، يخيل إلي إنك لا تقدس العجل في حد ذاته، ولكنك تقدس هذا الذى أعطاك هذا العجل..

قال المصرى: نعم، هو كذلك..

استمر صادق: والحوت «أوانيس» الا يجب أن يتخلى عن مكانه لهذا الذى خلق البحر والحيتان؟

أجاب الكلداني: نعم.

أضاف صادق: الهندى والصيني يعترفان بعلة أولى لكل شيء، لم أفهم جيداً الملاحظات التي تدعو للإعجاب التي ذكرهما الأخ اليوناني ولكني متاكد أنه أيضا يعترف بوجود خالق اسمى، هو الذى خلق الشكل والمادة.

اليوناني الذى عبر له صادق عن إعجابه بشكل زائد ، قال أن « صادق » فهم ما يعنيه حق الفهم .

فقال صادق : أنتم جميعاً إذن متحدون في الرأى ، ولا يوجد ما تتقاتلون بسببه .

عند ذلك عانقة الجميع .

بعد أن باع « الستوك » تجارته بأعلى الأسعار عاد إلى قبيلته ومعه « صادق » . عند وصولهما علما أن « صادق » قد تمت محاكمته غيابياً وحكم عليه بأن يحرق على نار هادئة .



المواعيد الغرامية

أثناء رحلته إلى البصرة، صمم كهنة النجوم على معاقبة صادق. فالأحجار الكريمة والمصوغات الخاصة بالأرامل التى كانوا يرسلونهن إلى المحرقة كانت من حقهم قانوناً. فى الحقيقة، كان أقل ما يمكن عمله لصادق هو إرساله إلى المحرقة جزاءً له على ما سببه لهم من أضرار، ولذلك اتهموه باعتناق آراء خاطئة حول ضيوف السماء، الشمس والقمر والنجوم. شهدوا ضده واقسموا أنهم قد سمعوه يقول أن النجوم لا تغرب فى البحر. هذه الهرطقة المخيفة جعلت القضاة يرتعدون. كانوا على استعداد لتمزيق ملابسهم عندما استمعو ا لهذه الكلمات الضالة. وبلا شك كانوا سيمزقونها إذا كان صادق سيدفع لهم تعويضاً عن ذلك. غير انهم فى غمرة إحساسهم الطاغى بالألم شعروا بالرضاء عن انفسهم بعد إدانته والحكم عليه بالحرق على نار هادئة.

حاول « الستوك » يائساً أن يستغل نفوذه لإنقاذ صادق ولكن بلا جدوى فاضطر إلى أن يؤثر السلامة . الأرملة الشابة « منى » التى تتمتع الآن بشهية قوية للحياة بفضل صادق قررت ان تنقذه من الهلاك . فكرت وقلّبت الفكرة فى رأسها طويلاً دون أن تخبر اى شخص . كان صادق سيعدم فى اليوم التالى ، أى أن لديها تلك الليلة فقط لإنقاذه ، إليك ما فعلته فى هذا الشان بوصفها سيدة محسنة وكتوم .

ضمخت نفسها بالعطور ودعمت مفاتنها باغلى الملابس واكثرها إغراء ثم ذهبت إلى رئيس كهنة النجوم وطلبت لقاءً خاصاً ، وعندما سمحوا لها بالدخول على ذلك العجوز المبجل خاطبته على النحو التالى :

ايها الإبن الأكبر للدب الأعظم ، يا أخا الثور وعم الكلب المهول (كانت هذه هى ألقاب الكاهن) جئت لأسر إليك بهواجسى ، أخشى أن اكون قد ارتكبت خطيئة كبرى عندما لم أحرق نفسى مع جثة زوجى ، أحقاً حافظت على شىء له قيمة ؟ .. هل هناك قيمة لهذا الجسم الفانى الذى بدأ بالفعل يذوى .

قالت ذلك وهى تجذب أكمامها الطويلة الحريرية ، وتعرض ذراعها العارى كشاهد على ما تقول ، ها أنت ترى ذلك الذراع المشوه الذى لا يساوى شيئاً .

قال الكاهن لنفسه انه يساوى الشىء الكثير . قالت عيناه ذلك ثم أكد فمه ما قالته عيناه ، وأقسم أنه لم ير فى حياته ذراعاً بهذا الجمال .

قالت الأرملة : للأسف ، لعل ذراعى أقل تشويها من بقية جسمى ، ولكن لابد ان تعترف أن رقبتى لا تستحق الالتفات . ثم جعلته يرى صدراً لم تبدع الطبيعة اجمل منه ، إن كاس زهرة على تفاحة من العاج لتبدو إلى جواره مجرد قشة على صندوق خشبى . رقبتها ، عيناها السوداوان اللتان تشعان فى رقة بنار الرغبة العامة ، خدودها ذات اللون القرمزى المختلط ببياض الحليب الصافى ، انفها ، شفتاها اللتان كانتا تشبهان محارتين تضمان اجمل لآلىء شط العرب . كل هذه المفاتن جعلت الرجل

يشعر بانه في العشرين من عمره، وبلسان متلعثم أبدى بعض الملاحظات الرقيقة. وفي اللحظة التي رات فيها «مني» انه قد انهار تماماً، طلبت منه العفو عن صادق.

فقال: للأسف يا سيدتي الحبيبة .. لا جدوى من تدخلي للعفو عنه، فهذا الطلب لابد أن يوقعه أربعة من زملائي الكهنة.

- وقعه انت على اية حال.

- بكل سرور، بشرط، ان احصل على الثمن.

- هذا شرف لي يا سيدى .. شرفني بالحضور إلى منزلي بعد الغروب، عندما تظهر نجمة الشط اللامعة عند الأفق .. سوف تجدني جالسة في انتظارك على كنبة وردية، وستجد من خادمتك كل ما يسرك. وكل ما تقدر عليه.

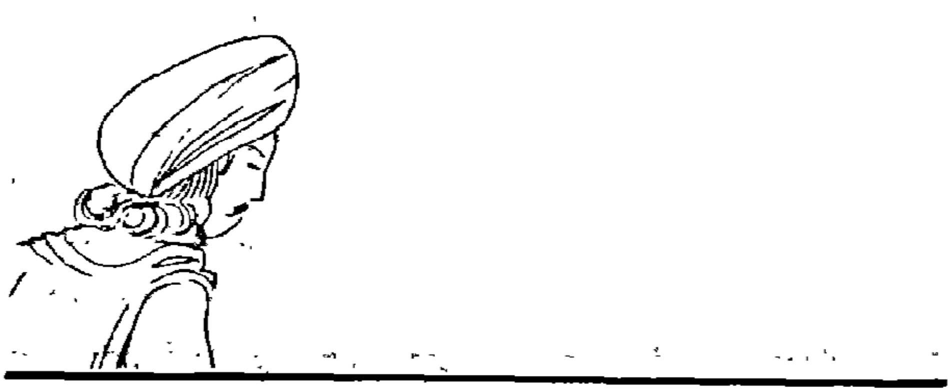
مضت بعد ذلك خارجة ومعها توقيعه على الطلب، تركت الرجل ممتلئاً بالرغبة وبالشك في قدراته. قضى بقية اليوم في الاستحمام ثم شرب المزيد من توابل «سيلان» المنعشة وانتظر بنفاد صبر ظهور نجمة الشط. في نفس الوقت كانت «مني» عند الكاهن الثاني الذي أكد لها أن الشمس والقمر والنجوم ليست أكثر من ومضات ضعيفة بالمقارنة بسحرها، طلبت منه نفس الشيء فوافق بنفس الشرط. أعطته موعداً عند ظهور نجمة الجنوب ثم أخذت طريقهاإلى بيت الكاهن الثالث والرابع حيث حصلت على توقيع كل منهما، وجعلت ظهور نجم بعد الآخر موعداً للقاء الغرامي. أرسلت بعد ذلك خطابات للقضاة تطلب منهم الحضور لأمر غاية في الأهمية، عندما جاءوا أطلعتهم على توقيعات الكهنة الأربعة وأخبرتهم عن الثمن المطلوب لقاء العفو عن صادق وصل كل واحد من الكهنة في الموعد المحدد. استولى الذهول على كل منهم لرؤية زملائه.

ثم استولى عليهم ذهول اكبر لرؤية القضاة، اصبحت الآن فضيحتهم بجلاجل

أنقذ صادق، وسعد «الستوك» ببراعة «مني» فقرر ان يتزوجها، وانصرف صادق بعد أن القى بنفسه على قدمي منقذته الجميلة. وبين الدموع افترق الصديقان وهما يتعاهدان على

الصداقة الخالدة ، ثم وعد كل منهما الآخر بأن من يحصل منهما اولاً على ثروة كبيرة ، عليه أن يتقاسمها مع الآخر .

رحل صادق في اتجاه سوريا مفكراً طول الوقت في « عشتارت » التعسة ، متاملاً ذلك القدر الذى يلعب به ويضطهده باستمرار ، قال لنفسه : تخيل ٤٠٠ أوقية من الذهب لأنني شاهدت آثار كلبة ، الحكم بإعدامي لأنني كتبت أربعة أبيات من الشعر الرديء في مديح الملك ، ثم كنت على وشك أن اشنق لأن شبشب الملكة له نفس لون غطاء رأسي ، ثم أتحول لعبد رقيق لأنني ساعدت امراة يضربها رجل متوحش ، وأخيراً أتعرض للحرق لأنني انقذت حياة كل الأرامل العربيات .



قاطع الطريق

عند وصوله إلى الحدود التى تفصل «بترا» العربية عن سوريا، وبينما كان يمر بالقرب من قلعة حصينة فوجيء بمجموعة من الرجال المسلمين تهاجمه. فوجيء بنفسه محاصراً، صاح احدهم: انت وما معك ملك لرئيسنا. أجاب صادق بان شهر سيفه، خادمه الذى كان يتحلى بالكثير من الشجاعة فعل نفس الشيء. تقدما فى عزم وقتلا فى البداية هؤلاء الذين قدموا ليمسكوا بهما. تضاعف الآن عدد المهاجمين ولكنهما لم يجبنا. قررا ان يموتا وهما يقاتلان. رجلان يدافعان عن نفسيهما ضد عدد كبير، بالطبع لا يمكن أن يدوم هذا الصراع طويلاً، صاحب القلعة واسمه «اربوجاد» عندما شاهد من إحدى النوافذ شجاعة صادق الفائقة، شعر بالإعجاب نحوه فنزل على الفور وامر رجاله بالانصراف واستقبل الرجلين.

قال لهما: كل ما يمر فى أرضى يعتبر من أملاكى، تماماًككل شيء أعثر عليه فى ارض الآخرين، هذه هى القاعدة العامة، ومع

ذلك فإننى استثنيكما من تلك القاعدة لأنكما رجلان شجاعان .

سمح لصادق أن يدخل قلعته وامر رجاله أن يعاملوه معاملة حسنة وفى المساء رغب في أن يتناول صادق طعامالعشاء معه . كان صاحب القلعة من تلك الفئة التى يسمونها « اللصوص » ولكنه أحياناً كان يقوم بأعمال طيبة من بين أعماله الشريرة الكثيرة . فهو يسرق باغتصاب ووحشية ، ولكنه يعطى عن طيب خاطر ، كان جسوراً فى المعارك ، لطيفاً جداً فى جلساته الخاصة ، يشرب بمرح ولا يعرف الاعتدال فى الطعام ، وقبل كل شىء كان صريحاً ، سُر من صادق كثيراً فحديثه المتفجر بالحياة أطال وقت العشاء .

أخيراً قال « أربوجاد » . أنصحك أن تنضم لى وأن تعمل تحت إمرتى .. لن تجد شيئاً افضل تفعله .. حرفة اللصوصية ليست سيئة ، فقد تصل يوما ما إلى مثل مكانتى .

سأله صادق : هل تسمح لى بسؤال .. منذ متى وانت تمارس هذه الحرفة النبيلة ؟

- منذ نعومة اظفارى ، كنت خادماً عند عربى حاد الطبع ، أحسست أنى فى موقف يائس ، ففى هذه الأرض التى يملكها البشر جميعاً بالتساوى لم يدخر لى الحظ الجزء الخاص بى . أسررت بمتاعبى لعربى مُسن فقال لى ، يا بنى ، لا تياس ، ذات يوم كانت هناك حبة رمل تشكو من أنها مجرد ذرة لا يلتفت أحد إليها فى الصحراء ولكنها فى النهاية بعد عدد من السنين أصبحت جوهرة وهى الآن اجمل ما يُزين تاج ملك الهند ، كان لهذه القصة تأثير كبير علىّ ، بدأت بسرقة حصانين ثم كونت عصابة ، اتخذت موقعاً لسرقة القوافل الصغيرة ، وبذلك أزلت الفوارق غير العادلة بينى وبين الآخرين ، اصبح لى نصيبى من الطيبات فى هذا العالم واحتللت مكاناً رفيعاً ، أصبحت شيخ منسر ، واستوليت على هذه القلعة بالقوة ، نائب الحاكم فى سوريا أراد أن يخلعنى ولكنى كنت قد اصبحت غنياً إلى الدرجة التى تجعلنى لا اخشى أى شىء . أعطيت النائب بعض المال وبهذه الوسيلة احتفظت بالقلعة ووسعت من منطقة نفوذى ، بل وعينت مسئولاً عن الجباية التى تدفعها «بترا» العربية إلى ملك الملوك . فقمت

بمهام وظيفتي على الوجه الأكمل، كنت احصل الأموال ولا ارسلها، فأرسل الكاهن الأعظم في بابل إلى هنا باسم الملك «موبدار» كاهناً أصغر لقتلي. ووصل الرجل إلى هنا ومعه الأوامر بذلك، كانت تفاصيل مهمته قد وصلتني بالطبع، شنقت أمامه الرجال الأربعة الذين حضروا لشنقي بعد ذلك سالته، ما هو المبلغ الذي كان سيحصل عليه مقابل قتلي؟.. فقال لي، ثلاثمائة قطعة ذهبية فاوضحت له ان مبلغاً اكبر من ذلك بكثير ينتظره إذا هو عمل معي. اعطيته مركزاً ممتازاً بين لصوصي، واليوم هو واحد من افضل رجالي واغنى ضباطي، اسمع كلامي، ستنجح كما نجح هو.. لم يحدث من قبل أن كانت هناك فرصة ذهبية للسرقة مثل هذه الأيام منذ ان قتل «موبدار» وسادت الفوضى في بابل.

- ماذا؟.. «موبدار» قتل؟.. وماذا حدث للملكة عشتارت؟

- لست أعرف عنها شيئاً، كل ما أعرفه ان «موبدار» أصابه الجنون ثم قتل، وأن بابل أصبحت مجزراً كبيراً، وأن الامبراطورة في طريقها للضياع، وان هناك فرصة طيبة لعدة خبطات مربحة، أنا شخصياً حققت نجاحات مذهلة في هذا المجال.

قال صادق: ولكن الملكة؟.. أرجوك قل لي، ألا تعرف شيئاً عن مصير الملكة؟

- سمعت شيئاً عن أمير «هاركانيا»، من المحتمل أن تكون من بين جواريه هذا إذا لم تكن قد قتلت في أثناء الثورة، أنا مهتم أكثر بالسلب والنهب وليس بالأخبار، فقد حصلت على عدد كبير من النساء في غاراتي، ولكني لم احتفظ بأي منهن، فأنا أبيعهن بسعر مرتفع إذا كُنَّ حساناً، دون أن أسأل من يكُن؟ أو ماذا يكن لأن عملائي لا يدفعون مقابل المركز الاجتماعي، فالملكة القبيحة قد لا تجد مشترياً، من المحتمل أن أكون قد بعت الملكة «عشتارت»، وربما تكون قد ماتت. هذا أمر لا يشغل بالي كثيراً واعتقد انه لا يجب أن يشغل بالك

بينما هو يتكلم كان يشرب بنهم، بدات افكاره تختلط ببعضها

البعض ، لدرجة ان «صادق» عجز عن الحصول على اى شيء واضح منه .

ظل ساكتاً ، ماخوذاً ، عاجزاً عن الحركة بينما «اربوجاد» مستمر في الشراب وحكاية الروايات ، وهو يكرر باستمرار انه اكثر الرجال سعادة على ظهر الأرض ويحث صادق على ان يكون سعيداً مثله واخيراً ثقلت جفونه فنام في هدوء . مرت الليلة على صادق وهو في اقصى حالات الانفعال .

ـ ماذا ؟ .. الملك جُن ؟ الملك قتل ؟ كم ارثي له .. الامبراطورية تمزقت وقاطع الطريق سعيد ، أيها الحظ .. أيها القدر ، قاطع الطريق سعيد ، وأجمل مخلوقة على وجه الأرض ربما تكون قد قتلت بطريقة مخيفة او تعيش عيشة اسوا من الموت .. آه يا «عشتارت» .. ماذا حدث لك ؟

في الصباح سأل كل من قابله في القلعة ولكن كلا منهم كان منشغلاً فلم يجبه أحد ، فقد تمت أثناء الليل عمليات سلب عديدةوهم الآن يوزعون الأسلاب . كل ما استطاع الحصول عليه في ذلك الجو المضطرب هو أن يحصل على الإذن بمغادرة القلعة ، فغادرها على الفور وقد أخذ يغوص أكثر فأكثر في أفكاره المؤلمة . مضى صادق وقد استولى عليه القلق والانفعال ، صور عديدة امتلات بها نفسه ، «عشتارت» المنكوبة ، ملك بابل ، صديقه المخلص قادر ، «أربوجاد» قاطع الطريق السعيد ، ثم تلك المراة اللعوب التي أختطفها البابليون من على الحدود المصرية ، باختصار ، كان فريسة للتفكير في كل خيبات الأمل والمصائب التي مر بها .





صياد السمك

على بعد بضعة مراحل من قلعة «أربوجاد» وجد صادق نفسه على ضفاف نهر صغير . وبينما هو ما يزال يندب حظه معتبراً نفسه النموذج الأمثل للشقاء ، إذ به يرى صياداً جالساً على ضفة النهر ممسكاً بصعوبة بيده الضعيفة شبكة على وشك أن يلقي بها في النهر . رفع الرجل عينيه إلى أعلى ووجه كلماته إلى السماء : من المؤكد أنني أتعس خلق الله . كنت معروفاً بأنني أشهر بائع للجبن الدوبل كريم في بابل ثم فقدت كل شيء . كان لدى أرق زوجة يتمناها الإنسان ثم خانتني .بيتي تحول إلى خرابة ، رأيته وهو ينهب ويدمر . لجأت إلى كوخ بلا أي مصدر للرزق سوى صيد السمك ، وها أنذا لا أستطيع اصطياد سمكة واحدة . آه يا شبكتي ، لن ألقي بك في النهر مرة أخرى ، سألقي بنفسي!

قال هذه الكلمات ثم نهض ، كان واضحاً من هيئته أنه قرر أن يلقي بنفسه في النهر لينهي حياته .

قال صادق لنفسه · ما هذا ؟ .. يبدو أن هناك بشراً آخرين تعساء مثلي .

جرى في اتجاهه واستوقفه ثم سأله باهتمام وتشجيع ، يقال إننا نصبح أقل تعاسة عندما لا نكون وحدنا في شقائنا ولكن طبقاً لما يقوله «زرادشت» لا يرجع ذلك لسوء نيتنا ولكن للضرورة ، نحن نشعر أننا منجذبون ناحية ضحايا الحظ السيء كزملاء في المعاناة . وفي هذه الحالة تعتبر فرحة الرجل السعيد إهانة . ولكن اثنين من التعساء يشبهان شجرتين متهالكتين تستند كل منها إلى الأخرى ، فتستطيعان معاً في قوة مواجهة العاصفة .

سأل صادق الصياد : لماذا تسمح لتعاستك بالقضاء على حياتك ؟

أجاب الصياد لأنني لست أرى طريقة أخرى للتخلص من شقائي ، كنت احتل مكاناً مرموقاً في قريتي «دير الباك» بالقرب من بابل . كنت أصنع بمساعدة زوجتي افخر أنواع الجبن الدوبل كريم في كل أنحاء الامبراطورية . الملكة «عشتارت» والوزير الشهير صادق كانا معجبين بها جداً . أرسلت لها ستمائة قرص من هذا الجبن . وذات يوم ذهبت إلى المدينة لأقبض ثمنها ، وعندما وصلت إلى بابل عرفت أن الملكة وصادق قد اختفيا ، فأسرعت إلى :نزل السيد صادق الذى لم أكن قد رأيته من قبل ، وهناك وجدت رجال الشرطة مدعومين بالأوامر الملكية وهم ينهبون منزله بطريقة منظمة للغاية ، فِطرْت إلى مطابخ الملكة ، بعض رؤساء الطهاة أخبرونى أنها قد ماتت ، آخرون قالوا لى انها في السجن بينما قال بعضهم إنها تمكنت من الفرار . ولكن الجميع أكدوا لى أننى لن أقبض ثمن الجبن التى وردتها لهما . ذهبت ومعى زوجتي إلى منزل السيد «أوركان» الذى كان واحداً من زبائني وسألناه أن يتدخل لحمايتنا فى مصيبتنا هذه ولكنه تدخل لحماية زوجتي وحدها . كانت زوجتي أكثر بياضاً من الجبن الدوبل كريم التى كانت السبب فى متاعبى . لعل ذلك هو

ما جعل السيد «أوركان» يحتفظ بزوجتى ثم يطردنى من منزله. كتبت لزوجتى العزيزة خطاباً يائساً فردت على الرسول الذى اعطاها الخطاب: اوه.. نعم.. نعم، لقد سمعت عن هذا الرجل، يقولون انه يصنع جبن دوبل كريم ممتازة، دعه يرسل لى كمية منها وسيرى انه سيقبض ثمنها.

فى هذه الحالة التعسة قررت ان الجا إلى العدالة. كان قد تبقى لدى ستة اوقيات من الذهب، على ان ادفع منها اوقيتين للمحامى الذى استشرته، واوقيتين للمحامى الذى تولى قضيتى، واوقيتين لكاتب الجلسة. قبل نظر القضية كنت قد دفعت أكثر مما تساويه الجبن وزوجتى معاً، فعدت إلى قريتى عازماً على بيع بيتى لكى أستعيد زوجتى.

بيتى يساوى ستين أوقية من الذهب ولكن الناس كانوا يعلمون اننى فقير ومرغم على البيع. أول شخص لجأت إليه عرض على ثلاثين أوقية ذهبية ثمناً للمنزل، الثانى عرض عشرين، الثالث عرض عشرة. كنت على استعداد فى النهاية لأن أقبل اى شىء. وبينما أنا فى هذه الحالة المؤلمة إذ بأمير «هاركانيا» يجتاح بابل مدمراً الريف فى طريقه، نهبوا منزلى فى البداية ثم أشعلوا فيه النار. هكذا فقدت اموالى وزوجتى وبيتى، فلجأت لهذا المكان لأحيا من صيد السمك، ولكن السمك سخر منى كما سخر منى البشر من قبل، فشلت فى اصطياد اى شىء، إننى أموت من الجوع ولولاك لكنت الآن ميتاً فى قاع النهر.

لم يقص الصياد قصته مرة واحدة، ففى كل لحظة كان صادق المنفعل يقاطعه: ماذا؟ ألا تعلم شيئاًعما حدث للملكة؟

- لا يا سيدى الفاضل، ولكنى أعلم ان الملكة وصادق لم يدفعا لى ثمن الجبن الدوبل كريم، كما أعلم أن زوجتى قد أُخذت منى، كما اعلم اننى فى حالة يائسة.

قال صادق: أنا واثق من أنك لن تفقد كل أموالك، فقد سمعت الناس يتحدثون عن صادق هذا ويقولون انه رجل أمين وإذا عاد إلى بابل كما يأمل هو، فسيعطيك أكثر مما لك عنده، وفيما يتعلق بزوجتك التى لم تكن أمينة، فأنا أنصحك بألا تحاول استردادها،



خذ نصيحتي ، إذهب إلى بابل ، سأسبقك إلى هناك ، لأنني راكب ، أما أنت فستذهب على الأقدام ،إذهب إلى الوجيه «قادر» ، قل له إنك قابلت صديقه وانتظرني في منزله . إذهب ربما لا تظل تعساً للأبد .. يا إلهي ، لقد أرسلتني لمواساة هذا الرجل ، ترى ، من سترسل لمواساتي ؟!

قال ذلك ثم أعطى الرجل نصف ما معه من المال . الصياد ـ مندهشاً ومبتهجاً ـ قبل قدمي صديق «قادر» .

وقال : أنت ملاك أرسلته السماء لإنقاذي .

بعد ذلك أخذ صادق يسأله عن المزيد من الأخبار بينما هو يذرف الدموع . صاح الصياد . ماذا ؟ .. سيدي الفاضل ، هل من الممكن أن تكون تعساً أنت الآخر ؟ .. أنت يا من يفعل الخير .. ؟

أجاب صادق : إنني أكثر تعاسة منك بمئات المرات .

ـ كيف يكون هذا الذي يمنح أكثر شقاءً من ذلك الذي يأخذ ؟

أجاب صادق : الحاجة فقط هي سبب تعاستك أما شقائي فهو يسكن قلبي .

ـ هل سرق منك «أوركان» زوجتك ؟

هذا السؤال أعاد لذهن صادق كل الأحداث التي مرت به ففتح كتالوج تعاسته وأخذ يقص على الرجل كل ما جرى له من مآسي مبتدئاً بكلبة الملكة إلى أن وصل إلى قلعة «أربوجاد» قاطع الطريق .

صاح الصياد . آه .. إن «أوركان» يستحق العقاب ، ولكن على العموم هذا النوع من البشر هم الذين يختارهم الحظ ليمنحهم السعادة والثروة .

ـ فليكن الأمر ما يكون ، اذهب الآن إلى السيد «قادر» وانتظرني هناك .

وافترقا ، سار الصياد شاكراً حظه الطيب بينما صادق ما يزال يندب حظه .



البساليسك

بعد أن وصل إلى منطقة مراع جميلة ، شاهد عدة نساء يبحثن عن شىء فى اهتمام شديد . إقترب من واحدة منهن وسألها عما إذا كان من الممكن أن ينال شرف مساعدتهن فى البحث .

فأجابت السورية : حذار أن تفعل ، ما نبحث عنه يمكن للنساء فقط أن تلمسه .

فأجاب صادق : هذا غريب جداً .. هل أتجرأ وأسألك ما هو هذا الشىء المسموح فقط للنساء بلمسه ؟ .

أجابت البساليسك .

ـ البساليسك يا مدام ؟ ولأى سبب ، إذا سمحت لى ، تبحثون عن البساليك ؟

ـ من أجل سيدنا وتاج راسنا ، « اولغ » ، الذى ترى قلعته على ضفة هذا النهر فى نهاية المرعى ، نحن جارياته وعبيده ، السيد

«أولغ» مريض ولقد أمره الأطباء أن يأكل باساليسك مطهواً في ماء الورد. وحيث انه حيوان نادر جداً، ولا يسمح مطلقاً لأحد ان يلمسه سوى النساء، لذلك فقد وعد سيدنا «أولغ» بأن يتزوج من المرأة التي تستطيع أن تأتي له بالبساليسك، دعني أواصل البحث من فضلك.

ترك صادق الفتاة السورية والأخريات ليبحثن عن بساليسكهن، واستمر في السير خلال المراعي. عندما وصل إلى حافة مجرى مائي صغير، وجد هناك سيدة أخرى تجلس على الحشائش، لم تكن تبحث عن شيء. منظهرها كان يبدو راقياً ولكن وجهها مغطى بقناع. إنحنت على المجرى، أفلتت من فمها تنهدات عميقة، كانت تمسك في يدها بعصا صغيرة راحت تخط بها حروفاً على الرمال الناعمة التي توجد بين الحشائش والمجرى. شعر صادق بفضول يدفعه لأن يرى ما تكتبه هذه المرأة، اقترب منها فشاهد حرف (ص) ثم (أ) أحس بالدهشة عندما رأى بعد ذلك الحرفين (د. ق) إرتجف، ليست هناك في الدنيا مفاجأة مثل هذه، عندما شاهد الحرفين الأخيرين من اسمه ظل ساكناً في مكانه لبعض الوقت بلا حراك، ليكسر الصمت صاح في صوت مرتعش: أيتها السيدة النبيلة، إغفرى لغريب في محنة عندما يتجرأ ويسألك بأى مصادفة مدهشة، أجد اسم صادق وقد خطته يدك الكريمة؟

عند سماع هذا الصوت وتلك الكلمات رفعت السيدة القناع عن وجهها بيد مرتعشة، عندما حولت عينيها إلى صادق أطلق صيحة فيها رقة ودهشة وفرحة، بينما سقطت هي مغشياً عليها بين ذراعيه، بعد أن قهرتها مشاعر عديدة مختلفة استولت عليها في لحظة واحدة، لقد كانت هي نفسها «عشتارت»، كانت ملكة بابل، كانت الشخص الذى يهواه صادق ويؤنب نفسه على ذلك، كانت هي الانسانة التي بكى من اجلها طويلاً والذى أصابه الرعب على مصيرها. تعطلت حواسه كلها في لحظة، بعدها حدق في عيني عشتارت التي فتحتهما بلهفة ممتزجة بالاضطراب والرقة.

صاح صادق: يا إله السموات، يا من ترعى عبادك الضعفاء،



يا من أعدت لي عشتارت ، في أي وقت وفي أي مكان وفي أي حالة أنا أراها الآن ؟

ألقى بنفسه على ركبتيه امامها وعفر جبهته بتراب قدميها ، رفعته ملكة بابل عالياً وأجلسته بجوارها على ضفة المجرى بينما أخذت هي تجفف الدموع التي كانت تفيض من عينيها .

عشرون مرة على الأقل كانت تلتقط خيط الحديث الذى تقطعه تنهداتها . سألته عن تلك المصادفة الغريبة التي جعلتهما يلتقيان مرة أخرى ثم قاطعت إجاباته بأسئلة أخرى ، ثم بدأت تحكى عن المصائب التي مرت بها ، غير أنها وهي تحكى كانت تسأل عما حدث لصادق . وفي النهاية بعد أن أفلح كل منهما في تهدئة نفسه أخبرها صادق في كلمات قليلة عما جرى له قبل أن يجد نفسه في تلك المراعي .

ولكن ايتها الملكة الحزينة المبجلة ، ماذا جاء بك إلى هذا المكان ، مرتدية ثياب الرقيق ، مصحوبة بنساء من العبيد يبحثن عن « البساليسك » ليطبخ في ماء الورد حسب أوامر الأطباء ؟

قالت عشتارت الجميلة : بينما هن يبحثن عن « البساليسك » سأخبرك عن كل ما قاسيته والذى كففت الآن عن لوم الأقدار عليه بعد أن رأيتك أمامي مرة أخرى ، أنت تعرف أن الملك زوجي ، أحنقه انك كنت الوحيد في المملكة الذى يجمع الناس على حبه ، ولهذا السبب قرر أن يخنقك وأن يقتلني بالسم . وأنت تعرف أن السماء قيضت لنا عبداً أصم ليحذرنا من الأمر الملكي . بمجرد أن نجح « قادر » المخلص في أن يدفعك لتنفيذ تعليماتي والهرب بعيداً ، استطاع ان يغامر بالدخول إلى جناحي في منتصف الليل عبر ممر سرى . أخرجني وذهب بى إلى معبد « أورموزد » عند أخيه الكاهن . الذى وضعني داخل تمثال عملاق ، قاعدته كانت تلمس أساسات المعبد ، بينما رأسه كانت تصل إلى السطح . كنت كما المدفونة ، ولكن الكاهن كان يرعاني ويزودني بالضروري للحياة . في نفس الوقت كان صيادلة القصر يدخلون غرفتي ومعهم جرعة السم المكونة من « الحلبين » و « الحلبور » و « الأقونطين » ، بينما ذهب بعض المسئولين إلى بيتك ، ومعهم

مشنقة من الحرير الأزرق . لم يجدونا بالطبع ، ولكي يخدعهم قادر ، ذهب إلى الملك وتظاهر بأنه يوجه لنا الاتهامات ثم أخبره أنك قد اتخذت طريقك إلى الهند بينما ذهبت أنا إلى « ممفيس » لذلك أرسلوا مجموعة من الضباط في أثر كل منا .

الرسل الذين أرسلوا للبحث عني لم يكونوا يعرفونني شخصياً لأنني لم يحدث أن كشفت عن وجهي لأي مخلوق سواك ، وفي حضرة زوجي وبموافقته . أسرعوا لمطاردتي مستر شدين بالأوصاف التي أعطيت لهم . ظهرت لهم إمرأة في نفس قوامي ويقال إنها باهرة الحسن والجمال ، حدث ذلك على الحدود المصرية . كان من الواضح انها هي الأخرى هاربة وفي محنة . لم يساورهم الشك في أن هذه المرأة هي ملكة بابل ، فأحضروها إلى الملك « موبدار » . الخطأ الذي وقعوا فيه دفع الملك في البداية إلى حالة من الغضب الجنوني ، ولكن بعد أن رأى جمالها عن قرب ، شعر بالعزاء . كان إسمها « ميسوف » . قيل لي وقتها أن إسم « ميسوف » يعني باللغة المصرية الجمال اللعوب . في الحقيقة كانت هي كذلك ، كانت لعوباً لدرجة أسعدت « موبدار » وأوصلته إلى درجة من الخضوع دفعته في النهاية لأن يتزوجها . عند ذلك أفصحت عن أبعادها المتطرفة الحمقاء . استسلمت بلا رادع لكل تهاويم عقلها الأحمق . أرادت أن ترغم رئيس الكهنة الذي كان عجوزاً ومصاباً بالتهاب في المفاصل أن يرقص أمامها وعندما رفض اضطهدته في قسوة . طلبت من مدير الاصطبلات الملكية أن يصنع لها تورتة بالمربى ، إحتج وحاول عبثاً إفهامها أنه ليس حلوانياً ، ولكن كان لابد أن يصنع التورتة . طردته بعد ذلك من منصبه لأن التورتة كانت محترقة قليلاً ، وأعطت المنصب لأحد الأقزام من حاشيتها . كما عينت أحد الغلمان في منصب المستشار . هكذا حكمت بابل . شعر الكل بالأسف لأنهم فقدوني ، الملك الذي كان مكتمل العقل إلى أن قرر أن يقتلني بالسم وأن يخنقك ، كان من الواضح أنه اغرق كل فضائله في ذلك الحب الأحمق لهذه الحسناء اللعوب . جاء إلى المعبد في اليوم العظيم للنار المقدسة . رأيته يتوسل إلى الآلهة من أجل « ميسوف » عند

اقدام التمثال الذى كنت مختبئة بداخله . رفعت صوتى وصحت عليه بصوت عال : الآلهة لا تقبل صلوات ملك تحول إلى طاغية ، ملك أراد أن يقتل زوجته العاقلة ليتزوج من إمرأة فاقت حماقتها كل حد .

اضطرب «موبدار» عند سماعه لهذه الكلمات لدرجة أنه أصيب بالذهول ، كلماتى بالاضافة لمزاج ميسوف المتسلط كانت كافية لأن يفقد عقله ، وفى ظرف ايام قليلة أصيب فعلاً بالجنون . هذا الجنون الذى أعتبر عقاباً من السماء ، كان إشارة البدء للثورة. تفجرت ثورة عامة ، كل شخص سارع بحمل السلاح ، بابل التى عاشت طويلاً فى نعومة انثوية ، اصبحت مسرحاً لحرب أهلية مخيفة . خرجت من الكهف بداخل التمثال وقدت أحد الجماعات . أسرع «قادر» إلى «ممفيس» ليعود بك إلى بابل . أمير «هاركانيا» بعد أن وصلته تلك الأنباء الرهيبة ، عاد على رأس جيشه وكون جماعة ثالثة ثم شن هجوماً على الملك الذى فر من أمامه هو والمصرية الحمقاء .

مات«موبدار» متأثراً بجراحه ، ووقعت «ميسوف» أسيرة فى يد المنتصر ، كان من سوء حظى أن وقعت أنا أيضاً أسيرة فى أيدى مجموعة من «الهاركانيين» أحضرونى أمام الأمير فى نفس اللحظة التى أتوا فيها «بميسوف» . سيسعدك بلا شك أن تعلم أن الأمير رأى أننى أكثر جمالاً من المصرية ، ولكنك ستحزن عندما تعرف أنه قرر أن يضمنى إلى حريمه . ولكنه أكد لى أنه بمجرد أن ينتهى من حملته العسكرية التى كان على وشك القيام بها ، سيأتى ويجعلنى محظية له . تخيل إحساسى بالأسى . الرباط الذى كان يربطنى «بموبدار» إنفك ، وكان من الممكن أن أكون زوجة لصادق لولا اننى وقعت فى أسر ذلك الهمجى . أجبته بكل ماأملك من كبرياء يتيحه لى شعورى بمقامى السامى ، إذ سمعت من قبل أنه يقال إن السماء حبت بعض الأشخاص فى مثل حالتى بعظمة فى الشخصية تجعلهم بكلمة أو بنظرة ، يرغمون الوقحاء على أن يعاملوهم باحترام . تكلمت كملكة ، ولكنى وجدت إننى اعامل كخادمة . «الهاركانى» من غير أن يتنازل ويقول لى كلمة

واحدة ، قال للأغا الأسود إننى إمرأة وقحة ومع ذلك هو يجدنى لطيفة لذلك أمره أن يعتنى بى وأمر بأن اتناول طعاماً جيداً لأستعيد نضارتى ، لكى أكون جديرة بلطف سعادته . قلت له إننى سأقتل نفسى حالاً ، فاجاب ضاحكاً انه ليس هناك خوف من ذلك وأنه متعود على مثل تلك الاستعراضات . على ذلك الحال تركنى وكأنه رجل حبس « ببغاء » فى قفص ومضى فى طريقه . يا له من موقف صعب على ملكة العالم الأولى ، اكثر من ذلك يا له من موقف بالنسبة لامرأة أحبت صادق .

عند هذه الكلمات ألقى صادق بنفسه على ركبتيها وبللها بدموعه فرفعته عشتارت برقة واستمرت تقول : وجدت نفسى فى قبضة شخص همجى ورفيقة فى الأسر لامرأة مجنونة .. أخبرتنى عما حدث لها فى مصر ، خمنت من الوصف الذى أعطته لى أنك الشخص المقصود ، وذلك من الحدث نفسه ومن وصف الناقة التى كنت تركبها ومن كل الملابسات ، أدركت أن صادق هو الشخص الذى قاتل دفاعاً عنها . لم يكن لدى شك انك فى « ممفيس » وقررت أن أذهب إلى هناك فقلت لها : يا ميسوف الجميلة ، أنت تبعثين على السرور أكثر منى ، ساعدينى على الهرب ، ستنفردين بالفرصة ، وأسعد أنا فى الوقت الذى تتخلصين فيه من منافسة . رتبت معى « ميسوف » وسيلة هربى ، ورحلت سراً ومعى جارية مصرية ، ماكدت أصل إلى المنطقة العربية حتى اعترضنا لص وغد اسمه « أربوجاد » وباعنالأحد التجار الذى أحضرنى لتلك القلعة التى يقيم بها « اولغ » ، اشترانى دون أن يعلم من أنا ، هو شخص حسى ، اللذة هى متعته الوحيدة ، وهو يعتقد أن الله قد أرسله إلى الدنيا ليجلس إلى مائدة الطعام . هو بدين إلى حد مخيف . طبيبه الذى يتجاهله عندما يكون جهازه الهضمى على ما يرام ، يمارس عليه نوعاً من الطغيان إذا أكل كثيراً ، اقنعه بأنه من الممكن أن يشفيه « بالبساليسك » المطبوخ بماء الورد . السيد « اولغ » وعد بان يتزوج بمن تاتى له « بالبساليسك » . أنت ترى أننى تركتهن يتنافسن لنيل ذلك الشرف . وبما أن السماء جعلتنى أراك مرة أخرى ، لذلك تجدنى قد فقدت أية رغبة فى العثور على هذا « البساليسك » .

انطلق صادق وعشتارت يعبران عن مشاعرهما الرقيقة التي طال كبتها . انطلقا يعبران عن كل ما يلهمه الحب والحظ السيء في قلبين نبيلين اشتعلا بالعاطفة . وحمل الملاك المسئول عن الحبّ كل وعودهما إلى مملكة «فينوس».

عادت النساء إلى قلعة «أولغ» دون أن يعثروا على أى شيء . ولكن صادق الذى وجد مدخلاً لما يريد قال له : لعل العافية الأبدية تنزل عليك من السماء لتحفظك كل أيامك .. انا طبيب . وجئت إليك على عجل بعد أن استمعت إلى تقرير عن مرضك . لقد احضرت إليك «البساليسك» مطبوخاً في ماء الورد . وليست لى بالطبع تجاهك أية نوايا زواجية . إنني أسألك فقط أن تطلق سراح جارية شابة من بابل . وأنا أقر بأن أظل في الأسر بدلاً منها إذا لم أوفق في أن أشفى السيد «أولغ» العظيم .

قبل الاقتراح . ورحلت عشتارت إلى بابل ومعها خادم صادق بعد أن وعدته بأن ترسل له رسولاً ليخبره بكل ما يمكن أن يكون قد حدث .

كان افتراقهما رقيقاً كلقائهما . إن لحظة الفراق ولحظة اللقاء هما أهم لحظتين في الحياة كما جاء في كتاب الزند العظيم . لقد أحب صادق الملكة كل الحب كما أقسم لها . ولقد أحبته الملكة أكثر مما صرحت به .

قال صادق لأولغ . مولاى .. بساليسكي لا يؤكل . كل فيتاميناته ستدخل جسمك من خلال المسام .. لقد وضعته في حقيبة جلدية صغيرة منفوخة . ومغطاة بقربة فاخرة . ستقذف هذه القربة بكل قوتك . وسوف اعيدها إليك عدة مرات . وفي ظرف أيام قلائل . سترى ماذا سيفعله علاجي .

في اليوم الأول تقطعت أنفاس أولغ . واعتقد انه سيموت من التعب . وفي اليوم التالي كان اقل إجهاداً . ونام بشكل افضل . في ظرف أسبوع استعاد كل قوته وصحته وخفته وذلك الصفاء الذى كان يشعر به وهو في عنفوانه في الأيام الماضية .

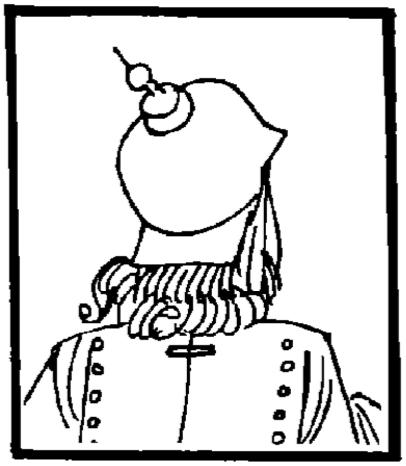
قال له صادق : لقد لعبت الكرة يا سيدى . انت الآن شخص معتدل الصحة . صدقني لا يوجد مخلوق في الطبيعة اسمه

« البساليسك » ، بالاعتدال والرياضة يكون الانسان دائماً فى حالة طيبة ، أما الجمع بين الافراط والصحة فهذا أمر خرافى لا وجود له تماماً كحجر الفلاسفة والتنجيم وتعليمات الكهنة . بعد أن أدرك طبيب « أولغ » الخاص مدى خطورة صادق على الطب ، تآمر عليه هو والصيدلي وعزما على إرساله للبحث عن « البساليسك » فى العالم الآخر ، وهكذا بعد أن عوقب كثيراً على فعل الخير ، مرة أخرى كان على وشك أن يهلك لنجاحه فى شفاء أحد النبلاء البطنيين .

دُعي إلى حفل عشاء كبير . وكانت الخطة أن يوضع له السم فى الطبق الثانى ، ولكن بينما كان يتناول الطبق الأول تلقى رسالة من عشتارت الجميلة ، ترك على أثرها المائدة ورحل على الفور .

يقول زراديشت « عندما يكون الرجل محبوباً من إمرأة جميلة ، يجد دائماً مخرجاً من المتاعب فى هذه الدنيا » .





دورى الشجاعة والحكمة

أستقبلت الملكة في بابل بذلك الحماس الذى تقابل به الأميرات اللاتى تمر بهن أوقات عصيبة . كانت بابل فى ذلك الوقت تبدو اكثر امناً ، فقد قتل أمير «هاركانيا» فى أحد المعارك ، وأعلن البابليون المنتصرون ان «عشتارت» يجب أن تتزوج من الرجل الذى سيختارونه ملكاً ، إن المنصب الأول فى العالم وهو زوج «عشتارت» وملك بابل ، لا يجب أن تتحكم فيه المؤامرات أو المناورات . عاهدوا أنفسهم علىٰ أن يكون الملك هو أكثرهم شجاعة وحكمة . على بعد مراحل قليلة من بابل ، اقيم استاد كبير محاط بمدرجات فخمة . يذهب المتنافسون إلى هناك فى كامل سلاحهم ، خصصت لكل منهم مقصورة خلف المدرجات حيث لا يزوره ولا يراه أحد . وعليه أن يقاتل لأربع جولات ، بعد ذلك يتم التصعيد إلى الدور الثاني ، ويشترك فيه كل من نجح فى هزيمة أربعة

فرسان ، ومن يبقى منتصراً حتى النهاية يعتبر فائزاً وعليه أن يعود بعد أربعة أيام مرتدياً نفس الدروع ويحاول أن يحل الألغاز التى يضعها له الكهنة . إذا لم يستطع حل الألغاز لا يتم تنصيبه ملكاً ويبدأ الدورى من جديد إلى أن يتم العثور على الفارس الذى ينتصر فى ميدان القتال وميدان الحكمة . ذلك لأنهم يريدون ملكا أكثر شجاعة وحكمة من أى شخص آخر فى المملكة .

فى أثناء ذلك توضع الملكة تحت حراسة مشددة ، يسمح لها فقط بحضور المباريات ووجهها مغطى بقناع . ليس مسموحاً لها بالحديث مع أى من المتنافسين حرصاً على النزاهة المطلقة وتجنب المحاباة . هذا هو ما أخبرت به «عشتارت» حبيبها صادق على أمل أن يبدى شجاعة وحكمة أكثر من أى شخص آخر ، فرحل وهو يتوسل إلى «فينوس» أن تقوى عزيمته وتنير عقله .

وصل إلى الفرات فى اليوم السابق على اليوم العظيم . سجَّل مواصفات الدروع التى سيرتديها فى قائمة المتنافسين مخفياً وجهه واسمه كما يحتم القانون . ثم ذهب ليستريح فى مكان خصص له بالقرعة . صديقه قادر الذى عاد إلى بابل بعد أن فشل فى العثور عليه فى مصر ، أرسل إليه بدلة فارس كاملة الدروع هدية من الملكة ، أرسل له أيضا بالنيابة عن الملكة أفخم حزام للأسلحة فى فارس . رأى صادق يد عشتارت فى هذه الهدايا فاكتسب حبه وشجاعته طاقة وأملاً جديدين .

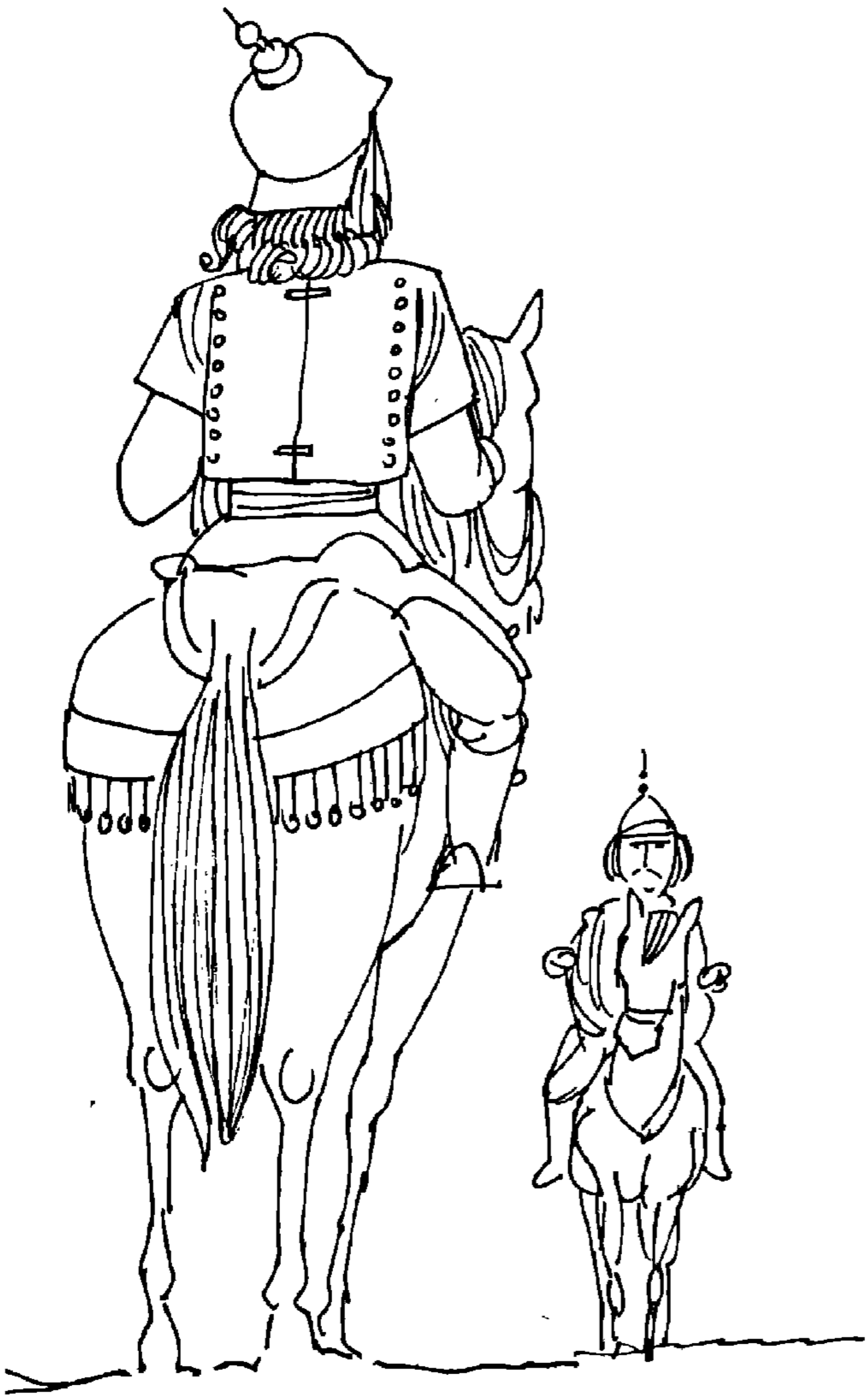
فى اليوم التالى اتخذت الملكة مجلسها فى مقصورتها المرصعة بالجواهر وامتلأت المدرجات بالنساء والرجال من كل الطبقات . ظهر المتنافسون فى الساحة ، وضع كل منهم علامته تحت أقدام الكهنة ، سحبت هذه العلامات بالقرعة لتحديد الترتيب . كان ترتيب صادق الأخير . المتنافس الأول كان نبيلاً غنياً إسمه الوجيه «عيتوباد» كان منتفخ الأوداج ولكن حظه من الشجاعة والمهارة والخبرة قليل . أقنعته حاشيته بأن رجلاً فى «مكانته» جدير بأن يكون هو الملك فأجا بهم رجل فى «مكانتى» جدير بأن يحكم .. ولذلك غطوه بالدروع من قمة الرأس إلى أخمص القدمين .

كانت أسلحته مزركشة بطبقة من الطلاء الأخضر وقد ربط على رمحه شريطاً أصفر . كان واضحاً للوهلة الأولى أن السماء لم تدخر صولجان بابل لرجل في «مكانته» . الفارس الأول الذى تصدى له أوقعه من فوق الحصان . الفارس الثاني افقده توازنه بحيث أصبحت ساقاه مرفوعتين إلى أعلى في الهواء وجسمه ملتصقا بوسط الحصان . استطاع «عيتوباد» أن يستعيد مكانه فوق الحصان ولكن بمجهود فظيع فبدات الجماهير تضحك ، الفارس الثالث لم يتنازل ويستخدم الرمح بل اتجه نحوه مباشرة ثم امسكه من قدمه اليمنى واداره نصف دورة وتركه يسقط على الرمال . هرع إليه مساعدو الفرسان في الساحة وهم يضحكون . إعادوه إلى الجلوس فوق الحصان . أمسك به الفارس الرابع من قدمه اليسرى والقى به إلى الناحية الأخرى وسط صيحات الاستهزاء من المتفرجين . عادوا به إلى مقصورته ليقضي فيها الليل حسب قانون المباريات . قال وهو يعرج ويسير بصعوبة «يا لها من تجربة لرجل في مكانتي» .

أظهر بقية الفرسان براعة اكبر . كان منهم من هزم اثنين واحداً بعد الآخر ، وقليل من تمكن من هزيمة ثلاثة . ولكن الأمير «عُتيم» كان الوحيد الذى هزم أربعة . وفي النهاية جاء صادق في دوره فاوقع اربعة من الفرسان على التوالي ، ولكن باكبر قدر من الحرص على كبريائهم . بقي بعد ذلك أن يرى الجميع من سينتصر في المباراة النهائية ، «عُتيم» أم صادق ؟

كانت دروع «عُتيم» زرقاء ، وكانت دروع «صادق» بيضاء ، توزعت قلوب المشاهدين بين الفارس الأزرق والفارس الأبيض . بينما كانت الملكة التي كان قلبها يدق بعنف ، تضرع إلى السماء من أجل أن ينتصرالفارس ذو الدروع البيضاء .

بدأ البطلان القتال في دورات سريعة رشيقة وهما يجلسان في ثبات فوق سروجهما . وجه كل منهما إلى الآخر عدة ضربات قوية مذهلة لدرجة أن كل الحاضرين في ذلك الاستاد الكبير - فيما عدا الملكة - تمنوا لو يكون لبابل ملكان . وفي النهاية نال منهما الإجهاد وتكسر رمحاهما . لجأ صادق إلى الدهاء . نزل خلف



الفارس الأزرق ثم قفز إلى ظهر حصانه ، أمسك به من وسطه ، أداره في الهواء ثم قذف به إلى الأرض واعتدل جالساً على حصانه آخذاً مكانه . اخذ يدور حول « عتيم » بينما هو ممدد على الأرض ، صاح كل الحاضرين في الاستاد « النصر للفارس الأبيض » فوقف عَتيم ساخطاً وسحب سيفه . قفز صادق من فوق ظهر الحصان ممسكاً بسيفه . بدأ الصراع بينها مرة أخرى وهما على الأقدام حيث تنتصر القوة والرشاقة . تحت آلاف الضربات السريعة ، تطايرت الأجزاء البارزة من خوذتيهما ، كما تطايرت الأجزاء التي تربط دروعهما . بحافة السيف ، بمقدمته ، ضرباً ، قطعاً ، إلى اليمين ، إلى اليسار ، إلى الرأس ، إلى الصدر . تقهقراً ، تقدماً ، التحماً ، تصارعاً ، إلتوياً كالثعابين ، هاجماً كالأسود ، تطايرت الشرارات من اصطدام السيفين . وفي النهاية توقف صادق للحظة وكأن التعب قد استولى عليه ، وفجأة قفز على « عَتيم » وطرحه أرضاً وجرده من سلاحه فصاح عتيم « آه ايها الفارس الأبيض ، إنه انت الذي يجب أن يحكم بابل » .

بلغت فرحة الملكة أقصى درجاتها . اقتيد الفارس الأبيض والفارس الأزرق كل منهما إلى مقصورته مثلما حدث للآخرين . وطبقاً للقانون جاء الخرس للعناية بهما واحضار الطعام لهما . من السهل أن نستنتج بالطبع أن الأخرس الصغير التابع للملكة هو الذي سهر على راحة صادق . تركاً ليناما وحدهما حتى صباح اليوم التالي ، حيث يقدم المنتصر بدلته ودروعه إلى رئيس الكهنة ليراجعها على قائمة المواصفات السابقة ثم يكشف الفارس عن شخصيته .

برغم الحب الذي يملأ قلبه ، استغرق صادق في النوم ، كان في غاية التعب ، « عيتوباد » الذي كان راقداً في مقصورة قريبة لم يغمض له جفن ، نهض اثناء الليل ، دخل مقصورة صادق ، أخذ دروعه البيضاء وبدلة الفارس الخاصة به وترك مكانها بدلته ودروعه الخضراء . وعندما أشرق الصباح ذهب في بجاحة إلى الكاهن الأعظم وأعلن انه المنتصر ، لم يكن ذلك امراً متوقعاًبالطبع ، ولكن تم الإعلان عن انتصاره بينما كان صادق

يغط في نومه . عادت «عشتارت» إلى بابل مصدومة ويائسة .

كان الاستاد خالياً تقريباً من البشر عندما استيقظ صادق ، بحث عن أسلحته وردائه ، لم يجد سوى البدلة والدروع الخضراء . فاضطر لارتدائها ، فلم يكن هناك شيء آخر يرتديه . كل من تبقى من البشر في الاستاد حيوه بصيحات السخرية . اندفعوا نحوه واهانوه ، لم يحدث أن تعرض إنسان لمثل تلك المهانة . اخيراً فقد صبره فاشهر سيفه وفرق الغوغاء الذين كانوا قد احاطوا به .

أسقط في يده ، لم يكن يعرف ماذا يفعل ، هو لا يستطيع رؤية الملكة ، ولا يستطيع الزعم بأنه صاحب بدلة الفارس البيضاء التي ارسلتها له الملكة بدون أن يقحمها في الموضوع . وبينما كانت الملكة غارقة في الحزن ، كان هو فريسة للغضب والاكتئاب .

مش على ضفاف الفرات موقناً انه قد اصبح في قمة برج نحسه ، أخذ يستعرض كل المصائب التي مرت به ابتداء من المرأة التي تكره الرجل ذا العين الواحدة ، إلى تلك اللحظة التي فقد فيها أسلحته ودروعه .

قال : انظر ماذا يحدث نتيجة للاستيقاظ مبكراً ، لو كنت قد نمت وقتاًأقل ، لكنت الآن ملكاً على بابل وزوجاً لعشتارت . المعرفة ، السلوك الطيبة ، الشجاعة ، لم احصد منها سوى المتاعب . في النهاية افلتت منه بضع همهات ضد القدر . شعر باغراء كبير يدفعه للإعتقاد أن هذه الدنيا يحكمها قدر قاس . يُضيع الانسان الخير ويأتي بالرفاهية للفرسان ذوي الدروع الخضراء ، اسوأ أحزانه كانت اضطراره لارتداء تلك الدروع الخضراء التي تجلب عليه الاحتقار والسخرية ، باعها لأحد الباعة الجوالين بثمن بخس ، استبدلها من البائع بجلباب وطاقية .

على هذه الهيئة ، سار بجوار الفرات ممتلئاً باليأس ومتهماً القدر بانه دائم الاضطهاد له .



الناسك

بينما كان سائراً، قابل صادق احد النساك بلحية بيضاء مهيبة تصل إلى وسطه كان ممسكاً في يده بكتاب يقراه باهتمام. توقف صادق وانحنى له باحترام عميق. رد له الناسك التحية باحسن منها. أغلق الكتاب الذى كان يقراه وقال: انه كتاب الأقدار، هل تريد ان تقرا بعضاً منه؟

وضع الكتاب في يد صادق وبالرغم من إجادته لعدة لغات إلا انه لم يستطع التعرف على حرف واحد فيه فزاد ذلك من فضوله.

قال الناسك الطيب: تبدو لى فى حالة غضب

أجاب صادق: نعم، لأسباب عديدة.

رد الناسك: إذا سمحت لى بان أصاحبك، فقد اكون مفيداً لك. لقد نجحت احياناً فى تهدئة بعض النفوس المضطربة.

هيئة الناسك ولحيته وكتابه اشعرت صادق باحترامه. وجد

فى الحديث معه ومضات عقل راجح . تكلم الناسك عن العدالة ، عن الأخلاقيات ، عن الخير الأسمى ، عن الأخوة والإنسانية ، عن الفضيلة والرذيلة . تكلم ببلاغة وحيوية وبشكل مؤثر لدرجة أن صادق شعر بنفسه وقد انجذبت إليه بسحر لا يقاوم ، فطلب منه بصدق ألا يتركه حتى يصلا إلى بابل .

فقال الرجل العجوز : أنا شخصياً أطلب منك هذا الشرف ، إقسم لى بأنك لن تتركنى فى أى وقت مهما فعلت .

فأقسم له صادق بأنه لن يتركه مهما فعل ، ثم بدأ الرحيل معا .

وصل الاثنان فى تلك الليلة إلى قلعة عظيمة ، طلب الناسك أن يستضاف هو والشاب المرافق له . حارس البوابة الذى كان من الواضح أنه يخدم نبيلاً عظيماً ، أدخلهما بذلك النوع من الاحتقار المهذب ، قدمهما إلى أحد الحجاب الذى أخذهما فى جولة ليشاهدا قاعات القلعة الفخمة . وأخيراً سُمح لهما بالجلوس عند طرف مائدة عشاء النبيل صاحب القلعة ، من غير أن يتشرفا حتى بنظرة من سعادته ، ولكنهما خدما مثل الآخرين فى كرم وسعة .

بعد ذلك أحضروا لهما إبريقاً مرصعاً بالأحجار الكريمة والزمرد ليغسلا إيديهما ، وفى الليل قادوهما إلى جناح فاخرليناما فيه ، وفى الصباح جاء أحد الخدم ومعه قطعة من الذهب لكل منهما بعدها اقتيدا إلى خارج القلعة فى تهذيب .

بينما كانا فى طريقهما قال صادق : صاحب القلعة يبدو لى رجلاً كريماً مضيافاً ، ولكنه إلى حد ما متكبر .. بينما كان يقول هذه الكلمات حانت منه التفاتة إلى أحد جيوب الناسك فوجده منتفخاً ، واستطاع أن يرى الأبريق الذهبى المرصع بالجواهر الذى سرقه الناسك ، لم يجرؤ على سؤاله عن ذلك ولكنه شعر بدهشة كبيرة .

عند الظهر ، وقف الناسك عند باب منزل صغير جداً يسكنه رجل غنى بخيل جداً . طلب فى توسل أن يستضاف هو ورفيقه ليستريحا لعدة ساعات . خادم عجوز يرتدى ملابس حقيرة استقبلهما بخشونة واخذهما إلى الأسطبل ثم قدم لهما بعض الزيتون الفاسد وخبزاً من الشعير وجعَّة حامضة . أكل الناسك

وشرب بنفس الشهية التى أكل بها فى الليلة السابقة . كان الخادم العجوز يراقبهما ليتاكد انهما لن يسرقا شيئا ثم أخذ يستحثهما على الانصراف . التفت إليه الناسك وأعطاه قطعتي الذهب اللتين حصل عليهما فى الصباح وشكره على اهتمامه بهما ثم قاله له . هل أطمع في أن أنال شرف الحديث مع سيدك ؟ قدمهما الخادم المندهش إلى سيده فقال الناسك : ايها النبيل العظيم ، إننى لا استطيع كتمان شعورى الغامر بالشكر العميق للطريقة الكريمة التى عاملتنا بها . وأنا أرجو أن تتنازل وتقبل منى هذا الإبريق الذهبى عربوناً على عرفاننا بالجميل .

كاد البخيل أن يقع من على كرسيه من فرط شعوره بالحرج . ولكن الناسك غادر المكان على الفور دون أن يعطيه الفرصة ليفيق من دهشته المفاجئة .

قال صادق . يا أبت .. ما هذا الذى أراه ؟ يخيل إلى أنك لا تشبه الآخرين فيما تفعل ، أنت تسرق إبريقاً مرصعاً بالجواهر من رجل نبيل عاملنا بكرم شديد ثم تعطيه لرجل بخيل عاملنا باحتقار !!

أجاب الناسك : يا بنى .. هذا الدعىّ الذى يستقبل الغرباء بدافع من التكبر لينبهروا بثرائه ، سيكون شخصاً اكثر تعقلاً ، اما البخيل فسيتعلم ممارسة الكرم .. لا تندهش من شىء واتبعنى .

إحتار صادق فى الطريقة التى يجب أن يتعامل بها مع رجل لعله أكثر الخلق حماقة أو أكثرهم حكمة . فقد تكلم الناسك بلهجة واثقة راقية جعلت صادق يواصل السير معه خاصة وانه قد أقسم على ذلك . وصلا فى المساء إلى منزل بسيط جميل ، لم يكن فيه شىء يوحى بالتبذير أو التقتير . كان صاحبه فيلسوفاً اعتزل العالم وتفرغ فى سلام لدراسة الحكمة والفضيلة . ومع ذلك لم يكن يشعر بأن الحياة عبء ثقيل ، فقد أسعده أن يبنى بيته هذا وأن يستقبل فيه الغرباء بكرم مبرأ من التظاهر . استقبلهما بنفسه ثم اخذهما إلى جناح مريح ليستريحا . ثم جاء بعد ذلك ليدعوهما إلى تناول طعام العشاء . خلال العشاء تكلم بحكمة عن الثورات الأخيرة فى بابل ، كان مخلصاً للملكة وعبر عن أمله فى ان يكون صادق قد اشترك فى مسابقة التاج ثم اضاف ،ولكن البشر



لايستحقون ملكاً مثل صادق» .

احمر وجه صادق وشعر بأحزانه تتضاعف . خلال الحديث اتفقوا على ان الأحداث فى هذه الدنيا لا تسير على هوى الحكماء ولكن الناسك أوضح ان البشر يجهلون الحكمة الألهية وهم يخطئون عندما يحكمون على الكل من الجزء البسيط الذى يستطيعون إدراكه . تكلموا عن العواطف فقال صادق : أوه .. كم هى خطرة .

فقال الناسك : إنها الرياح التى تملأ اشرعة السفينة ، احياناً تغرقها ، ولكنها لا تستطيع ان تبحر بدونها ، وهى مثل عصارة الصفراء ، احياناً تجعل البشر غاضبين ومرضى ، ولكنهم بدونها لا يستطيعون الحياة ، كل شىء تحتى هنا خطر ، ومع ذلك فكل شىء ضرورى . تكلموا عن اللذة فاكد الناسك انها منحة من الله لأن الإنسان لا يستطيع أن يمنح نفسه الإثارة او الأفكار ، هو يستقبلهما ، ولكن الألم واللذة ينبعثان من داخله هو ، تماماً كوجوده نفسه .

اندهش صادق من رجل يسلك سلوكاً متطرفاً ومع ذلك كتب له أن يكون بهذه الحكمة . وفى النهاية بعد مناقشة بناءة ومتسامحة قادهما مضيفهما إلى جناحهما شاكراً السماء التى أرسلت له هذين المسافرين الفاضلين الحكيمين . عرض عليهما مالاً بشكل صريح وبسيط لا إهانة فيه فرفض الناسك واستأذن منه لينام فلابد من الرحيل إلى بابل عند الفجر . كان فراقهم مؤثراً . شعر صادق بقدر كبير من الحب لهذا الرجل الودود .

عندما أصبحا وحدهما ، قضيا وقتاً طويلاً يمدحان مضيفهما ، عند الفجر أيقظ الناسك صاحبه وقال له : يجب أن نرحل الآن ، ولكن بينما كل من فى البيت نائم ، سانتهز الفرصة واترك للرجل عربوناً على مودتى وتقديرى .

قال هذه الكلمات ثم امسك بشمعدان واشعل النار فى البيت . صرخ صادق فى فزع وتمنى لو استطاع ان يمنع الرجل من تلك الفعلة الشنيعة ، ولكن الناسك سحبه إلى الخارج من يده بقوة خرافية . فى لحظات كان المنزل قد تحول إلى لهيب . على بعد

مسافة امنة وقف الناسك يراقب في هدوء المنزل وهو يحترق ثم قال : الحمد لله .. ها هو منزل مضيفي العزيز وقد أتت عليه النيران .. يا له من رجل محظوظ.

في هذه اللحظة شعر صادق برغبة عنيفة في أن ينفجر ضاحكاً أو ينفجر معنفاً ذلك الرجل العجوز المبجل ، ولكنه لم يفعل شيئا ، فقد كان واقعاًتحت تاثير الناسك الطاغي وتبعه صاغراً إلى آخر مكان يبيتان فيه . عندما جاء الليل وصلا إلى منزل أرملة فاضلة ومحسنة . كان لها ابن اخ في الرابعة عشرة من عمره ، به كل الخصال الحسنة ، وهو أملها الوحيد ، قامت بواجب الضيافة على خير وجه وفي الصباح سارت معهما مودعة حتى وصلا إلى كوبرى ، السير على الكوبرى كان يمثل خطورة فقد تحطم منذ وقت قليل . أسرع الغلام بالسير امامهما ، وفوق الكوبرى قال الناسك للغلام : تعال ، لابد أن أعبر عن إعترافي بالجميل لعمتك .

عند ذلك امسك به من شعره وقذف به في النهر ، غرق الغلام صعد إلى سطح المياه للحظة ثم ابتلعه التيار .

صرخ صادق : أيها الوحش ، يا أكثر الناس شراً .

قاطعه الناسك : لقد وعدت أن تكون أكثر صبراً ، أعلم ان تحت انقاض ذلك البيت الذى اشعلت فيه النار يوجد كنز كبير سوف يجده صاحبه ، وهذا الفتى الذى قطعت رقبته كان سيقتل عمته بعد عام ، ويقتلك بعد عامين .

صاح صادق : أيها المتوحش .. من أخبرك بذلك ؟ وحتّى لو كنت قد قرأت ذلك في كتاب الأقدار الذى تحمله ، هل من المسموح لك ان تقتل طفلاً لم يضرك بشيء ؟

بينما كان البابلى يتكلم بدأ يرى أن الناسك لم تعد له لحية ، وبدأت ملامحه تتحول لملامح شابة ، اختفى الرداء الذى كان يرتديه ، ظهرت له اربعة أجنحة جميلة براقة غطته بالضياء .

فصاح صادق وهو يجثو على ركبتيه : عفواً يا رسول السماء ، أيها الملاك المقدس ، هل جئت من السموات العليا لتلقن عبداً ضعيفاً درساً في ان يمتثل لأحكام القدرة الإلهية ؟

فقال الملاك : البشر يحكمون على كل شيء دون أن يدركوا اى

شيء .. من بين كل البشر انت الوحيد الذى يستحق ان يكون مستنيراً .

سال صادق إذا كان من المسموح له ان يتكلم ثم قال : لست واثقاً فيما افكر فيه .. ولكن هل اتجرا واطلب منك ان تزيل شكوكى ؟ الم يكن من الأفضل ان تصلح من شان هذا الفتى .. وان تجعله شخصاً فاضلاً بدلاً من ان تغرقه ؟

قال الملاك : إذا اصبح فاضلاً واستمر حياً فسيصبح قدره فى هذه الحالة ان يموت مقتولاً هو وزوجته والطفل الذى ستحمله .

ـ ماذا ؟ .. هل من المحتم إذن أن تكون هناك جرائم ومصائب ، وان تحدث هذه المصائب للأخيار ؟

اجاب الملاك : الأشرار تعساء دائماً ، ووجودهم يخدم وجود عدد قليل من البشر من خدام الحق مبعثرين فى هذا العالم .. لا يوجد هناك شر لا ينبعث منه بعض الخير .

ـ ولكن .. ماذا لو كان هناك خير فقط ، ولا شر على الإطلاق ؟

قال الملاك : عند ذلك ستكون هذه الأرض ، أرضاً أخرى . إن تسلسل الحوادث يعطى منظومة من الحكمة .. وهذا النظام المختلف الذى سيكون كاملاً من الممكن ان يوجد فقط فى ابدية الخالق الأعلى ، حيث لا يستطيع الشر أن يقترب .. لقد خلق الله ملايين من العوالم لا يشبه فيه احدهما الآخر ، هذا التنوع الهائل يعود لقدرته الهائلة عز وجل .. لا توجد ورقتا شجر على هذه الأرض تشبه إحداهما الأخرى .. ولا كوكبان فى الكون اللا نهائى متشابهان .. وكل ما تراه فوق هذه الذرة التى ولدت عليها يجب أن يكون فى مكانه وان يوجد فى موعده المحدد طبقاً لقانون الله الثابت الذى لا يتبدل والذى يحيط بكل شيء ، سيعتقد البشر ان الطفل الذى مات غريقاً الآن مات فى حادث ، وان البيت إحترق بسبب حادث ، ولكن ليس هناك حوادث ، كل ما يحدث هو إما محنة أو عقوبة ، أو مكافاة او نبوءة .. تذكر الصياد الذى كان يعتقد أنه اتعس البشر ، لقد ارسلك الله لتغير من مسار قدره .. ايها الضعيف الفانى ، كف عن الجدل واعبد الله .

ـ ولكن ..

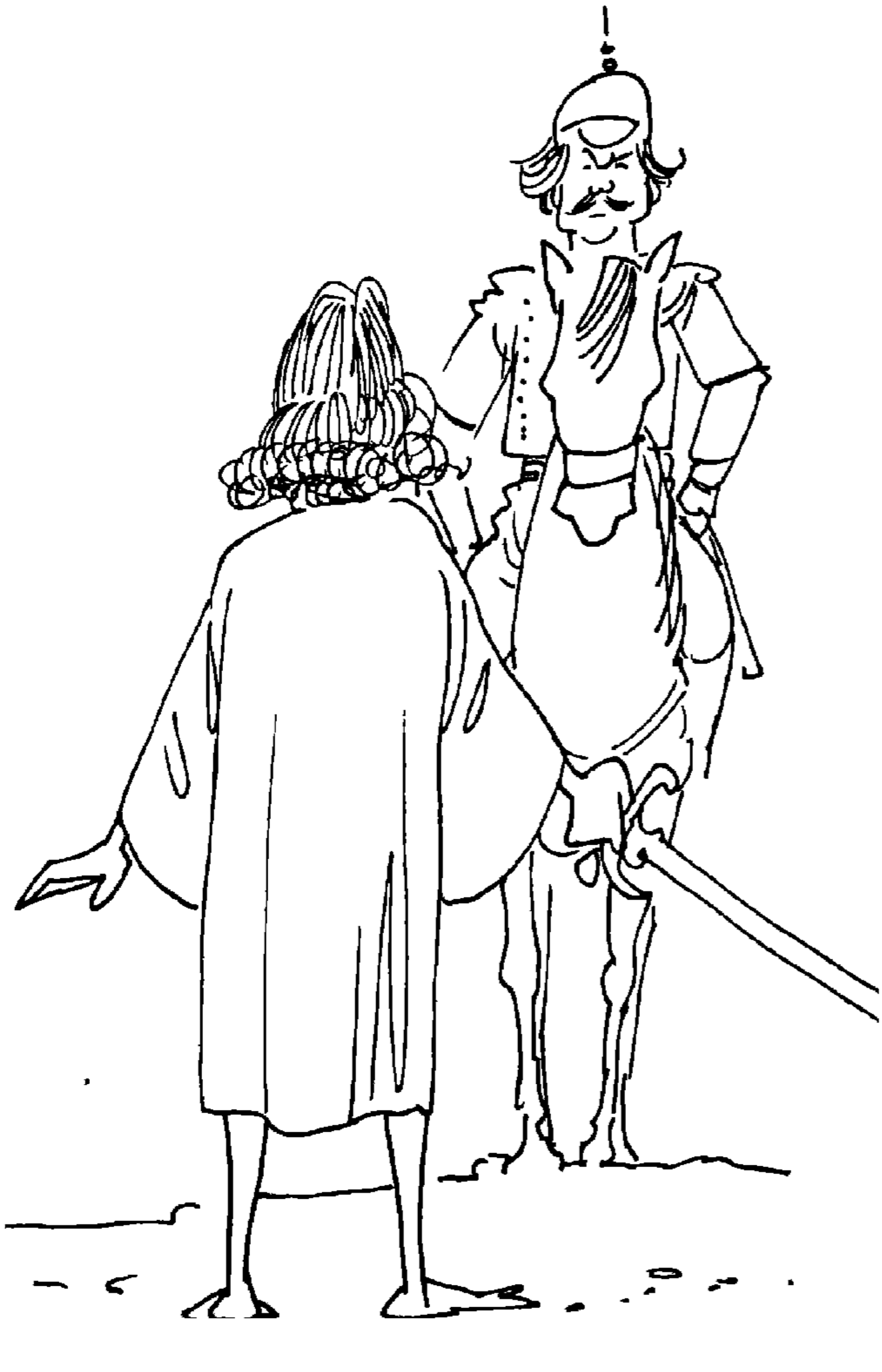
بينما هو يقول ولكن ، كان الملاك يرفرف بأجنحته صاعداً إلى السماء ، وكان صادق راكعاً على ركبتيه فى خضوع مصلياً إلى الله ، صاح الملاك من عل : خذ طريقك إلى بابل .





الألغـــــاز

في حالة من الذهول وكان صاعقة نزلت عليه، مشى صادق مضطرباً. دخل بابل في اليوم الذى تجمع فيه المتنافسون في قاعة القصر المغطاة ليقوموا بحل الألغاز وليجيبوا على أسئلة الكاهن الأعظم. كل الفرسان كانوا هناك ماعدا صاحب الدروع الخضراء. بمجرد أن ظهر صادق في المدينة تجمع الناس حوله وقد أسعدتهم رؤيته. تمنوا من كل قلوبهم أن ينصب ملكاً عليهم. ابتهلوا إلى السماء أن تباركه. شاهده الرجل الحقود فارتعد وانسحب بعيداً بينما الناس ترافقه إلى القصر. أعلن قدومه إلى الملكة فاستولى عليها الخوف والأمل والاضطراب. ولم تفهم لماذا لم يكن صادق مسلحاً؟ وكيف تأتى «لعيتوباد» أن يرتدى بدلة السلاح البيضاء؟



ارتفعت همهمات مضطربة عند رؤية صادق. شعر الجميع بالدهشة والابتهاج لرؤيته ثانية. ولكن كان مسموحاً للفرسان الذين اشتركوا في المنافسة فقط بالدخول فقال صادق: لقد قاتلت مثل الآخرين، ولكن هناك شخصاً آخر هنا يرتدى ملابسي ودروعي وإلى أن اتمكن من إثبات ذلك، اطلب من حضراتكم السماح لي بالاشتراك في حل الألغاز.

ثم اخذ الأصوات على هذا الطلب، سمعته الطيبة كانت مغروسة في اذهان الجميع، لذلك لم يترددوا في الموافقة.

وجه الكاهن سؤاله الأول: بين كل الأشياء في هذا العالم، ما هو الشيء الذى يعتبر الأطول والأقصر على حد سواء، الأسرع والأبطأ، قابل لأقصى درجات التقسيم وقابل لأقصى درجات الامتداد، نهمله بكثرة ونأسف عليه بشدة، بدونه لا يمكن عمل شيء، يقضي على كل شيء تافه ويحيي كل ما هو عظيم. كان الدور على «عيتوباد» ليتكلم في البداية. اجاب بأن رجلاً في مكانته لا يفهم في الألغاز شيئاً، ويكفيه شرفاً ان انتصر بعزمه وقوة سلاحه. بعضهم قال أن الاجابة عن اللغز هي: الثروة.

آخرون قالوا: إنها الأرض.

والبعض قال: إنه الضوء.

وقال صادق: إنه الزمن.. الوقت.

واضاف: لا شيء اكثر منه طولاً لأنه مقياس الأبدية. ولا شيء اكثر منه قصراً لأننا نفتقر إليه في مشاريعنا، لا شيء ابطأ منه لشخص ينتظر، ولا شيء اسرع منه لشخص يستمتع. هو يمتد إلى ما لا نهاية، كما يمكن تقسيمه ايضاً إلى ما لا نهاية. كل البشر يهملونه، وكلهم يأسفون على فقده. لا نستطيع بدونه أن نعمل شيئاً، وهو ايضا يدفن في النسيان كل ما هو صغير الشان ويضفي الخلود على كل ما هو عظيم.

وافقت اللجنة على ان اجابة صادق هي الاجابة الصحيحة وكان السؤال التالي هو: ما هو الشيء الذى نتلقاه دون ان نقرُ بذلك، ونستمتع به دون ان نعرف، ونمنحه للآخرين دون أن نعرف عنهم شيئاً، ونفقده بغير ان نلاحظ.

قدم كل شخص اجابته، صادق هو الوحيد الذى قال إن هذا الشيء هو . الحياة .

ثم فسر الألغاز الباقية بنفس السهولة . فى كل مرة قال «عيتوباد» أنه لا شيء ابسط من هذا اللغز وانه كان من الممكن أن يصل لمعرفة الحل الصحيح بنفس السهولة لو انه اهتم بذلك .

بعد ذلك ألقيت اسئلة عن العدالة والخير الأسمى وفن الحكم فكانت اجابات صادق كلها هى الصواب . قيل «يا له من أمر محزن، أن يكون الانسان حكيماً وفارساً رديئاً» قال صادق : سادتى الأجلاء، كان لى شرف الانتصار فى المسابقة، انه أنا صاحب بدلة الفارس البيضاء والدروع البيضاء . السيد «عيتوباد» أخذها وأنا نائم . فى الغالب اعتقد انها تليق به اكثر من بدلة الفارس الخضراء، وتاكيداً لكلامى انا على استعداد لمنازلته امام الجميع مرتدياً جلبابى هذا ومسلحاً بسيفى فقط فى مواجهة كل دروعه البيضاء التى سرقها منى، انه انا الذى نال شرف الانتصار على الفارس «عتيم» الشجاع .

قبل «عيتوباد» التحدى بثقة كبيرة . فقد أعتقد بغير شك أنه قادر بكل دروعه على سحق ذلك الرجل الذى يرتدى الجلباب والطاقية . سحب صادق سيفه وحيا الملكة التى كانت تحدق فيه بمزيج من الخوف والفرحة . شهر «عيتوباد» سلاحه دون أن يحيى أحدا، تقدم نحو صادق وكأن لا يوجد ما يخشاه، واستعد لكى يفلق راسه إلى نصفين . رفع سيفه عالياً ثم هوى به على رأس صادق . تفادى صادق الضربة فى مهارة معرضاً اقوى جزء فى سيفه لأضعف جزء فى سيف منافسه بطريقة جعلت سيف «عيتوباد» ينكسر . عند ذلك أمسك به صادق من وسطه وأوقعه على الأرض، وجه سيفه إلى صدره عند نهاية درع الصدر وقال له : دعنى أجردك من دروعك وإلا قتلتك .

«عيتوباد» الذى كان يشعر بالدهشة دائماً عندما تلحق إهانةبرجل فى «مكانته»، ترك صادق يفعل ما يحلو له، جرده فى هدوء من دروعه وخوذته والأجزاء اللامعة التى توضع على

الفخذين ثم ارتدى كل ذلك وسار في كبرياء ثم جثا أمام الملكة على ركبتيه .

لم يجد قادر صعوبة في إثبات أن الدروع البيضاء تخص صادق . فاختير ملكاً بموافقة الجميع وكانت « عشتارت » أكثرهم موافقة بالطبع فقد ذاقت بعد طول عذاب بهجة رؤية حبيبها والعالم كله يعترف بأنه جدير بأن يكون زوجاً لها .

انصرف « عيتوباد » إلى المكان الوحيد الذى يقال له فيه « يا مولاى » وهو بيته . نصب صادق ملكاً وكان سعيداً بذلك . ما قاله له الملاك كان ما ثلافى ذهنه . تذكر حبة الرمال التى تحولت إلى جوهرة . هو والملكة عبدا الله . ترك صادق « ميسوف » اللعوب الجميلة ترحل كرغبتها إلى أرض الله الواسعة . أرسل يبحث عن قاطع الطريق « أربوجاد » وأعطاه رتبة مشرفة فى جيشه ووعده أن يرقيه إلى أعلى المراتب إذا سلك سلوك المحاربين ، وأن يشنقه إذا سلك سلوك اللصوص .

استدعى « الستوك » من الجزيرة العربية هو وزوجته الجميلة منى وعينه رئيساً للغرفة التجارية فى بابل . نال قادر ما يستحقه من حب لقاء خدماته . كان صديقاً للملك ، وكان الملك هو العاهل الوحيد على الأرض لذى له صديق .

لم ينس الأخرس الصغير . وأعطى الصياد منزلاً فخماً وحكم على « أوركان » بأن يعطيه مبلغاً كبيراً من المال وأن يعيد إليه زوجته ولكن الصياد بعد أن أصبح عاقلاً الآن ، أخذ النقود فقط .

سميرة ستندم للأبد لاعتقادها السابق أن صادق سيصبح بعين واحدة ، عازورا ستظل تعسة للأبد لأنها فكرت فى قطع أنف زوجها ، ولكن صادق خفف من أحزانها بالهدايا . مات الرجل الحقود من فرط الاحساس بالعار والنكد . نعمت المملكة بالسلام والمجد والوفرة . كان ذلك العصر أفضل ما عرفته الأرض . فقد تميز بالعدل والحب .

كل القلوب باركت صادق ، وسبح صادق بحمد الله .

١٩٩٢/١/٢

١٩٩٢ / ١٧٨٦



مطابع الاهرام التجارية - قليوب - مصر